

الروية

محب مجلة
ومديرتها ورئيس
محرريها المسئول
أحمد حسن الزيات

سكرتير التحرير
محمود الحنيفي

مدل الاشتراك

١٢٠ في مصر والسودان
١٥٠ في الممالك الأخرى
٥ ثمن العدد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الإدارة

١٠ شارع الصحافة
ج. عين بشار
القاهرة ٢٧:٩٠

مجلة أسبوعية لتقصص ولان في

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الثاني ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٧٢ - أول يناير سنة ١٩٥٣ السنة الرابعة



فهرس العدد

١	رجال وامراء	٢٨	أفصحة مصرية	٣٥	للأستاذ أحمد حسن الزيات
٢	مواثيق	٣٦	مسكيات القرنية آن بالو	٣٦	بقلم الأستاذ محمود الحنيفي
٣	تصفية حساب	٣٧	أفصحة مصرية	٣٧	للأستاذ مصري عفا الله
٤	الثرية	٣٨	الكتاب المسمى سريقان زويح	٣٨	بقلم الأستاذ علي أدهم
٥	الكتاب الشاب	٣٩	قصة بولندية	٣٩	للكتاب الإنجليزي ه. ج. راسي
٦	مدن بون	٤٠	مسكيات تروسي يوراني باتوف	٤٠	بقلم الأستاذ فوزي شاهين
٧	فكر في الحق	٤١		٤١	

رجال وامرأة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

— ١ —

أما أحد الرجلين فأديب معلم . بلغ الثلاثين أو أربعين عاماً ، فهو في كمال بنية وعقله . كان على شيء من وسامة الوجه وجمال الهيئة ، وعلى أشياء من سهولة الخلق ولطاب الروح ، وبراعة الظرف ، وعذوبة المنطق . ولعل أظهر ما يميزه حياته الفروط وصفته الطويل ؛ فأكثر ما يجب عن أكثر ما يسمع ابتسامة حيية . فإذا نطق رى بالكلمة أو الكلمتين في خفوت وحذر ، فتذهبان في ضجة الحديث كما تذهب السمكة اللينة في الدغل الشاحب ، أو القطيرة العذبة في الوجود الصاخب ، فيزداد امتعاضاً وانقباضاً ووحشة

ومن العجيب أن حياته كان يغري به النساء ؛ لأنه كان حياء من نوع غريب ، لا يتم عن ذلة أو ضعة أو جبن ؛ وإنما يتم عن حشمة فيها عزة ، وعن رقة فيها ترفع ، وعن طيبة فيها شجاعة . فكان النساء يفهمن هذا الحياء على غير معناه ؛ بحسبه استخفافاً وراءه كبير ، أو انصرافاً تحت سر . والمرأة يبين دلائلها الكبير فتريد قهره ، ويشير

فصولها السر فتحاول كشفه . لذلك كانت يفاعته وشيئته موجات من حبهن أجرى ، تتعاقب نية على قلبه البري ، تنفث في فناء الصوت في قفوة ، أو ترتد ارتداد السهم عن صخرة . فإذا بسطت الألفة من انقباضه ، وأزالت الصداقة من احتشامه ، وحدته محدثاً غيب الحديث ، مما كها حلم الفكاهة ، يصل بين قلبه وقلب سامعه بكلام رقيق الخواشي ، وصوت رخيم النغم . وهو إلى ذلك شاعر يحس الحياة بقوة ، فتأثر بفهم الجمال العميق ، إنسان يأخذ الصداقة بإخلاص ، ومن أجل ذلك كثرت خطباته ، لأنه بدلاً عن حياته لا يجد اللذة إلا في التأمل ، ولا السعادة إلا في العمل ؛ ومن أجل ذلك أيضاً قلت صداقاته ، لأنه لا يحب إلا عن سر ، ولا بصديق إلا عن حب

وأما الآخر فطبيب ناشئ لا يزال في ريعه الخامس والعشرين . جميل الصورة ، أزهر اللون ، ممشوق القوام ، يروعك منه أول ما يروعك شعره الفاحم المتموج ، ونفثه الباسم النضيد ، ووجهه السوي القسيم ،

وسمته الهادي' الوديع؛ ولكنه لا يزيد على
تمثال أفعى الشمال سنده وسوى حلقه. ليس
فيه روح يقبض الحياة في جسمه، ولا قلب
يدفئ الشعور في دمه، ولا لسان يثب البيان
في حديثه. إنما يتحرك وكأنه لا يحس،
وينفعل وكأنه لا يدرك، ويتكلم وكأنه
لا يفكر

ومن وجوه الشبه ببقه وابن التمثال أيضا
فقد الإرادة؛ جاءت تحطه وينحط، وتقلبه
فيانقل، وتقلبه فيانقل، لا يتبع ولا يعترض
ولا يحرك. وهو في بالقدور الذي يعنده عن
القيام؛ أي بالقدور الذي يعنده من التماهل؛
ضعيف يستعاض بالروح فلا هو التمثال الضلل
ولا حقيقته، فليس يشرق الشمس فلا هو
عليظ الخلق، ولا حقيقته، وهو بذلك كله
حارب القلب ولا حقيقته، لا حقيقته في الصدر
فلا حسد ولا حسد، لا حقيقته في العين فلا طموح
ولا طموح، لا حقيقته في اليد فلا عيش؛
ساقى البيرة فلا حقيقته، لا حقيقته

وأنما الذي في عينه في عينه مشرقين،
أدركت شيئا في عينه مشرقين على
التحارب والوعد والوعد، لا حقيقته في
لا بأس به.
جيلة؛ لا حقيقته في عينه مشرقين على
الله في جهنم

فلا يقيد البصر ولا يحرك القلب، ومع ذلك
تستطيع أن تقول إنها فتانة؛ فتانة بشرتها
الحرية الرافدة؛ فتانة بعينها الحور العين اللتين
خلقتا لتسجرا لا لتنظرا؛ فتانة بخديها
الأسيلين اللتين يقف عليهما البصر الحاد
ساعة لا يرد ولا يطرف؛ فتانة بشفتيها
الرقيقتين المنقرجتين دائما عن نقر قل أن
تجد له مثيلا حتى فيما يتخيل الشاعر ويصور
المصور؛ فتانة بخديها الصاعد عن قلبها
النابض بالمواطف، ووجدانها الجائش
بالأحاسيس، وذهنها الزاخر بالأماني؛ فتانة
يدلها العاطفي الذي يمثل في سديتها النرجس،
فيتمسك على منها كل شكل، ويتلون في
صوتها كل لون. وهي شحنة قوية من
الشهوات والنسبوات والمبول، لا تحتملها
أعضائها ولا تسعها قواها؛ فهي دائما
تطلب، وهي أبدا لا تكفي. هوايتها أن
تحب، ولها أن تعامر، وسعادتها أن
تذوق، ولها أن تغير، أنجل ما في حياتها
موعد مضروب، وموعد منتظر، وساعة
أو ساعتان في مطعم أو ملهى أو حديقة
أو فيمن يجيما. تعيش يوماسيوم؛ فلان ذكر
الأمس ولا تفكر في الغد. ويومها كله زينة
تتخذ، وجوه في محلات الأزياء تجال،
وصديقة تستقبل، وزيارة ترد، وحفلة ققام،
وسهرة تقضى؛ وفيما بين ذلك عود تحتضنه،

وعناء توقعه عليه

— ٢ —

تعارف الرجلان على شاطئ (جليم)
من زمل الإسكندرية عام ١٩٢٣ . عرف
أحدهما بالآخر صديق مشترك . ولم يكذ
الصديقان أن يتعارفا حتى تألفا . وجد كل
واحد منهما في أخيه ما يرضيه : هنا مثال من
الحسن يلد الفنان أن يراه ؛ وهناك شدو
من شعر القلب يلد الإنسان أن يسمعه .
وبين الصديقين فضلا عن ذلك مشابه في
رقة القلب وحياء الطبع وسلامة النية والترايل
من الناس . وكانا يحدان في لغائهما وحديثهما
من المتاع والأنس ما لا يجدانه في ملهى من
الاهى المصيف ، ولا في مجلس من مجالس
السمور . لذلك جددا اللقاء وأحلالا الاجتماع
حتى توفقت بينهما الصلة وتمكنت الألفة ،
فصار كل منهما الآخر حاجة نفسه ومصدر
إنسه . ثم انتهى المصيف فعاد الصديقان
إلى القاهرة في يومين متتابعين كل واحد
مع أسرته ، وعاد لقاءهما في مجامع القاهرة ،
على النحو الذي كان في ملاهى الإسكندرية .
كان أمين الصديق الأسفر يزور كل
يوم حافظا الصديق الأكبر ، فيقضيان
الأمسي معا في سينما أوى قهوة . وكان
أمين كلما أقبل إلى صديقه كل مساء يقول :
جئت من بيت عمى ، وتندبت على مائدة
عمى ، وأخذت بريدى من صندوق عمى .

فسأله حافظ ذات مرة : أنسكن مع عمك ،
فأبى لا أراك تتحدث إلا عن بيته ، ولا

تتكلم إلا من تليفونه ؟

فأجابه : إني أسكن مع أبى ، ولكنى
أعيش مع عمى .

فقال حافظ : ما عهدت أحدا يفضل
عمه على أبيه ، ولا زوجة عمه على أمه .

فقال وهو يضحك : لا أفضل عمى على

أبوى ، وإنما أفضل غطوبتى عليهم جميعا .

وهى ابنة عمى . وقد أحببتها حبا ملاً شغاف

قلبي ، وشغلنى عن كل الناس إلا عنك .

فأنا أقضى معها وقت فراغى ولا أكاد أتركها

إلا إليك . وهى تعرفك بالسمع ، وكثيرا

ما تحدثنا عنك . وأخوها تلميذ لك فلا

يبرح لاهجا بذكرك . وأقرب الأيام هذا

اليوم ، فقد سألتنى أن أسير بك . وسررتنى

أن تنعم لها بما طلبت .

فقال له : ولم لا تؤجل زيارتى إياك إلى

أن تكون فى بيت الزوجية ؟

فقال أمين : أوه ! إن بيننا وبين الزفاف

سنة طويلة . ويصعب على أن أقسم وقتى بينها

وبينك ؛ ولكنك إذا عرفت ما وعرفتك ،

ضمنت ألا أفترق عنها ولا عنك .

وفى عصر يوم من أيام الخميس ركب

الصديقان الترام إلى منزل العم . وكان

الشارع الذى تولا فى بعض محطاته شارع

تعارفاً في الصلاة ؛ ثم تقدمتهما إلى الصائون . وأقبل الخادم بأفساح الشاي وأطباق الخوى . وبدأ الحديث ؛ ولكنهم لم يتجاذبا أطرافه ، لأن الحديث لم يكن له إلا طرف واحد أمسكت به عقيلة طول الوقت . وظل الزائران يستمعان ويواثقان ؛ لأن حافظاً عقل لسانه الحياء ؛ ولأن أستاذاً طبع كلامه المي . ثم ثم الصدوقان بالانصراف فودعهما عقيلة لدى المصعد وهي تقول لحافظ بلمهجة الإصرار والتوكيد : أرجو أن نرؤنا في أي يوم ومن غير دعوة . ولكن حافظاً لم يستطع أن يحقق هذا الرجاء الأول لأنه سافر إلى باريس في رحلة تستغرق العام كله

— ٣ —

تناهت الرسائل من الأدب الكاتب إلى الطبيب الخاطب تحمل أجمل الأحاديث وأرقها عن مفاتيح باريس ومتاحفها وأحداثها ومسارحها وملاهيها وعن كل جميل فيها . وكانت الأجوبة عن هذه الرسائل تتوالى كذلك حاملة صدى تلك الأحاديث وأثرها في نفس أمين ، ورجاءه إلى صديقه أن يذكر منها وبطيل فيها . وكان حافظ قد فطن إلى أن الروح التي تنبث في هذه الرسائل ليست روح أمين . روح من ؟ لا يدري . وإنما يعتقد على أي حال أن هناك (سيرافو) بجانب (كريستيان) . فاحتفل رسائله أشد

الجيزة ، فسار فيه . وكانت أواخر الصيف قد اتصلت بأوائل الخريف في جو سبتمبر ؛ فكسرت من حره ، وعدلت من نسيمه ؛ كالصبياء تشتمعها بالاء فتكون منهما النشوة ولا يكون فيهما الحياء . وكان شجر الدردار المنضد على جانب الطريق لا يزال ممسكاً بأوراقه المريضة ، فلم تسقطها بعد رياح أكتوبر . وكان النيل بوجه المتورد يترامى من بين الشجر ومن خلال القصور جيلاً جليلاً ، فيغري السائر بالوقوف ليعمل ويتأمل . فقال الأديب للطبيب : مل بنا إلى الشاطئ ، نستمتع قليلاً بجمال النهر ؛ فإني — كسائر القاهريين — أكاد أنسى أن النيل يجري في القاهرة ؛ لأننا لا نراه إلا عابرين مسرعين على جسوره ، أو سائرين ذاهلين على شواطئه .

فقال الطبيب للأديب وكأنه لا يشمر بما شعر ولا يفكر فيما قال : هذا هو بيت عمي . وها هي ذى (عقيلة) واقفة في الشرفة ننظر وتنتظر . فاطلع الأديب فرأى فتاة قصداً في النساء ، لاهي قصيرة ولا طويلة ، ولا هي سمينة ولا نحيلة . ترتدى حلة من قطعتين : عليا حمراء في لون القرمز ، وسفلى بيضاء في لون الزنبق . وبجانبها كلب صغير أبيض يطل من فرجة بين قضبان الدريزين . فلما رآتهما ابتسمت ، وانكفأت إلى الداخل لتلقاهما لدى الباب

الاحتفال ، وجعلها أشبه باليوميات يسجل فيها مشاهد اليوم وخواطر الساعة ، وما يتعاقب على نفسه الشاعرة من رضا وسخط ، وانساق وانقباض ، وإعجاب وإنكار ، وميل ونفور . ولبي رغبة صديقه فأسهب بمض الإسهاب في وصف من لاقى من أواس (البلغار) وغوانى (مونمارتر)

وألقى إليه البريد ذات يوم رسائل مصر ففض أول ما فض غلاف أمين لأنه يعرفه بخطه ، فإذا بداخله رسالتان : رسالة طويلة بمضاء أمين ، ورسالة صغيرة بمضاء عقيلة . فتناول رسالة الأنسة وأخذ يقلب فيها النظر : في إمضاءها المائل ، وخطها المنعق ، وورقها الفاخر ، وشكلها الأنيق ، ولونها الورود . ثم عاد يقرأ :

« عزيزى صديق ابن عمى !

ولى العذر إذا لم أقل صديقى ، فإنك أعففت ذكرى في رسائلك التى أقرأها كلمة كلمة ، واحتفظتها رسالة رسالة . ولا أدعى أن من حقى عليك أن تسلم على ، فإن زيارة واحدة لا تشي بين الزائر والمزور صداقة ؛ ولكنى حسبت أن صداقتك لأمين هى من السعة والعمق بحيث تشمل مخطوبته على الأقل .

على أن أعرفك منذ زمن طويل مما قرأت لك وسمعت عنك . وهب أن المعرفة بيننا كانت قديمة وثيقة ثم نسيت أن تحيينا على البعد ، فإننا نعذرك كل العذر ، لأن من فى

باريس لا يذكرك من فى القاهرة ، ومن يصبح « بن غوانى (مونبرناس) ويتسمى بين حسان (سان جرمان) ، لا يجد وقتا للتفكير فى ساكنى شارع الجيزة أوقاطنى حى النيرة . أرجو ألا تحمل كلامى على محمل العتاب ، فليس لى أن أعتب عليك . احمله إن شئت على محمل الاستجداء ، فإنى أجد فى قراءة رسائلك لذة لا أجدها فى متعة أخرى ! فإذا كتبت إلى كما نكتب إلى أمين ، تصبح الرسالة رسالتين ، والسعادة سعادتين . وما أظنك تبخل على إنسان بلذة لا تؤلك ، وبمنفعة لا تضررك »

ابنة عم صديقك

عقيلة

فلما فرغ حافظ من قراءة هذه الرسالة بدءاً وعوداً ، قرأ رسالة أمين فوجده يرجو ويلج فى الرجاء أن يكتب إلى عقيلة ولو على حساب الكتابة إليه ، وبفضل أن يتحدثها عن مباحج النهار وملاهى الليل ، وعما يتصل بالمرأة الباريسية من معروف ومنكر ؛ فلم يسع صديق الخطبين إلا أن يلج مبتغاهما فى الحدود التى يحدها حياؤه ويفرضها أدبه ؛ ولكنه كان يحرص كل الحرص على أن يدرج الرسالتين فى غلاف واحد .

لا أريد أن أعوق القارى عن حوادث القصة برواية ما كتب إليها وما كتبت إليه ، فإن ذلك وإن لذ وأمتع

لا يضيف إلى الموضوع إلا مرامي تخميني^١
وراء السطور تكشف للذهن اللامع
صروف النقاب عن وجه المستقبل .
فلنمد مع حافظ من باريس — بعد أن
قضى حاجته منها — إلى الإسكندرية في
أواخر أغسطس ليجد في استقباله على
البهاء أميناً وعقيلة
وكان عمر أمين أو أبو عقيلة بصطاف على عادته
من كل عام في شاطئ (جليم) فاقترح على
حافظ أن ينزل في فندق (سمبلاس) ليكونوا
جميعاً في حي واحد . ولم يريد أن يتركه
لنفسه تلك الليلة ، فصحباه إلى غرفته ،
وشاركاه في عشاءه ، ولأزماء في سهرته .
وكان مدار الحديث في هذه الأمسية ، وما
تلاها من أمسي ، على مآرئ حافظ وما
سمع في مدينة النور من عجائب الحضارة
وغرائب الناس . كان الخطيبان يريدان أن
يسمعا ذلك من فمه بعد أن قرآه بقلمه . وكانت
عقيلة تسأل وحافظ يجيب وأمين يسمع .
وكانت الرسائل التي تبادلها الأصدقاء الثلاثة
في ثمانية أو سبعين أسبوعاً قد أزالوا من بينهم
الكلمة ، وأطلعت كل واحد منهم على دخيلة
الآخر ، وكانت عقيلة تطمئن إلى الصديق
كما تطمئن إلى الخاطب ، فتبسّط في الكلام
وتساهل في الدعاية ، وتحول التيار الكهربائي
حيث تشاء برفع الكبس من هنا ووضع
هناك ، فيرى أن آثره في الخشب غير آثره في

المعدن ، وأن فعله في نفس أمين غير فعله في
نفس حافظ ، فتقبل بنفسها وحسها على
الأديب أكثر مما تقبل بوجهها وقولها على
الطبيب . وكان أمين يجد في تمكن الألفة
بين خطابه وصديقه رضا قلبه وغبطة نفسه ؛
لأنه يرى في تودد عقيلة إلى حافظ إعجاباً
منها بصحة رأيه في انتخابه للصديق ، وفي
تجنب حافظ إلى عقيلة ثناء منه على حسن
ذوقه في اختياره للزوجة . ولم تكن ملاطفة
حافظ لحبيبة صديقه عرضاً من أعراض رغبة
ناشئة ، ولا أثراً من آثار عاطفة حبسية ؛ وإنما
كان رجلاً قريب عهد بالحياة الباريسية التي
تجمل التلطف بالمرأة والتظرف لها أدباً
مرعياً من آداب السلوك . وهو بطبعه
رفيق الحاشية ، بلاين ولا يحاشن ، ويتبسم
ولا يتعجب : أما عقيلة فكانت تتشد شتاً
فوجدته فيه . كانت تريد أن تسمع من
يقول لها : أنت جميلة ! وإن فيك ما ليس
في آرابك من عذوبة الروح وصفاء الخس
وقوة الخديعة . وكانت تحب أن ترى أثر
فتنتها في عين تنظر بإعجاب ، وشقة تفر عن
دهش ، ولسان يهتف في خشوع . وكانت
تود لو يكون بجانبها من إذا أعجبت بمنظر
من مناظر الطبيعة ساهم في هذا الإعجاب ؛
وإذا تحدثت في موقف من مواقف السينما
شارك في هذا الحديث ، وإذا شعرت بملاطفة
من عواطف القلب استجاب إلى هذا الشعور .

فلما قرأت لحافظ وهو في باريس، وتحدثت إليه وهو في الإسكندرية، وتقبلت معه على شواطئ (الرميل)، استقرت نفسها بعد طموح بعيد، وسكن طرفها بعد نظر طويل، وقطعت نفسها عن أهلها وصواحبها واكتفت به، يرتادان الشواطئ والحدايق طول النهار، ويرتدان إلى الساحل والملاهي أكثر الليل، وأمين يرافقهما إلى كل مكان، ويوافقهما على كل اقتراح؛ فكان الثلاثة أشبه بالأقارب المسيحية الثلاثة: متحدين في الروح، متعددين في الجسد؛ لحافظ هو الأب، وأمين هو الابن، وعقيلة هي روح القدس!

— ٤ —

أقبل سبتمبر وهو الشهر الذي يعود فيه الموظفون من الإجازة ليستأنفوا كارهين العمل في الدواوين. ويعود فيه الطلاب والتلاميذ من العطلة ليستعدوا خائفين لامتحان الدور الثاني، أولئك قدموا طلباتهم إلى الجامعات أو إلى المدارس. ويعود فيه أعيان الفلاحين من المصيف ليتأهبوا راجعين لجمع القطن وضم الرز وبذر البرسيم. تخلت أكثر الأكنشاك، وفترت حركة الشواطئ، وخفت زحمة الكرنيش، وهدأت حياة البحر، فلم يبق على بلاجات الرمل إلا المترفون الذين لا تحفزهم ضرورات العمل إلى السفر، وإلا السكندريون الذين يسدأون على عاداتهم الاصطيف في هذا الشهر.

وعادت أسرة عقيلة مع العائدين، فاستبدلت حالة بحالة، ونحوت من حياة إلى حياة. عد الأب إلى أعمال المكتب، والأم إلى شؤون البيت، والأولاد إلى واجبات المدرسة، وعقيلة إلى الإبرة والكتاب، وإلى الزيارة والاستقبال، وإلى العمود والماء، وسردن، الطمان كل إلى عمله الأول. واستقر على وضعه المألوف. إلا عقيلة لم تجد في بيت الجزيرة ما كانت تجده في بيت راحة المال، ولم تدق في مسرح فؤاد ما كانت تدوقه قديما من حلالة الأسرار. سمح في عيبتها كل إفساد، وتفسد في ذوقها كل شيء، وتقبل على سمها كل حديث. وأدركت أن علة هذا التغير إنما هو فقدانها الثلاث على الحال التي كانت عيبتها في الإسكندرية. ولكن كيف يتسنى في غير المصيف أن تروح طول النهار، وأن تلهو أكثر الليل؟ ثم تستطيع ذلك في حد ما مع أمين، لأنه ابن عمها وهو أخوها في الحاضر؛ ولأنه يحفظها وهو زوجها في المستقبل. ولكن الأمر بينهما وبين حافظ جد مختلف؛ لا اتصال بينهما من قرينة، ولا اتصال بينهما من صداقة، وصدقة أمين وإن كانت وثيقة لا ترفع الحجب حتى ترى بجانبه في كل ملهى، ولا تدفع الجواز حتى تذهب في مسرعة إلى كل مكان. والولاية عليها لا تترك

لأبها . والتقاليد الإسلامية لا تنفك متبعة في الأمر الوسطى . أما التفكير في أن تنفع بقلته مرة أو مرتين أو ثلاثاً في الأسبوع فذلك ما لم يخطر ببالها ولو تداعى المعاني ونوالى القروض . لقد أصبح وجوده في حياتها جزءاً من وجودها هي في الحياة . فلا تتصور أن أمش من غيره ، ولا أن تهبط بطيب العيش مع غيره . وإذن فلا سبيل إلا أن تدخل على أبيها وهو يتمرر فنجال الشاي مع أمها في ساعة صفو وتقول :

بابا ! إنك تعلم أن اللغة الفرنسية من أرم العناصر لثقافة الفتاة المصرية . وأن القدر الذي تفتحه منها في المدرسة لا يكفي للحديث في مجتمع راق ، وللقراءة في كتاب قيم . وأرى إذا سمحت أن أعود إلى تعلمها بعزم أقوى وعلى منهج أتم ؛ فإني تعرضت مراراً للحجل الشديد أمام صديقتي المتخرجات في (البردى دبو) حين يحادثني بها فأتلعثم أو أخطئ أو أتوقف

وقال أبوها ، وكان قليلاً ما يرد لها ملياً : لا بأس يا بيتي ! اصنعي ما تحبين . وقالت أمها ، وكانت كثيراً ما تمنحها من يمينها : إن الدمواريل هيلين التي كانت تعلمك الموسيقى تستطيع أن تعلمك الفرنسية فاطلبها وكتيبها

فكالت عقيلة وقد سرتها موافقة أبوها : عفواً يا ماما ! إني أريد أن أتوسع في نحو هذه

اللغة وحرفها . وأصلع من بياني وأديها . والدمواريل هيلين لا تعرف من الفرنسية إلا الحديث الخارج والكلام المألوف . وإن لابت عن صدقاً توفر خطه من هذه اللغة . وقد قال أمين حين حدثته في هذا الأمر : يشمن أن يهبطني كل يوم درس من شرح تحديد وقت ولا تقدير أجر

ولت ذلك وهي لم تتحدث إلى أمين عدة . ولم تعرف رأي حافظ عليه ؛ لأنها تعلم أن أمين طوع لها في تحب ، وأن حافظاً لا يتشدد على أمين فيريد . وكان رأيا في الصديقين صحيحاً . فتبدأت الدروس بعد يومين اثنين في المكتب المنزلي من بيت عقيلة ، وفي الساعة الخامسة من كل يوم

— ٥ —

بدأت الدروس الطبيعية في الأسبوع الأول كما تكون بين معلم يحب أن يعلم . والبيضة تريد أن تعلم ؛ لأن الأب كان يدخل عليهما فيسلم ويشكر ، والأخ كان يلم بهما فيسمع ويستفيد ، والحافظ كان يحس إليهما فيشارك أو ينتظر . وخشيت عقيلة أن يستمر الأمر على هذه الحال ، فرغمت أن يكون الدرس في الصباح حين يكون الأب في ديوانه ، والأخ في مدرسته ، والحافظ في مكتبه ؛ فحققوا لها هذه الرغبة . وقد ساعد على تحقيقها أن المعلم كان لحسن الخط أو أسوئه فارغاً من العمل

الطريق : فإن لي عند الخياط فستاناً أريد أن أجريه ، وعند المصور صورة أحب أن أراها ؛ ولا تريد أُمي أن أخرج وحدي ، فما رأيك ؟ »

فقال لها حافظ : « ومتى كان لأحد عندك رأي ؟ هُمى فما الدرس على المكتب بخير منه في الطريق مادام الأمر لا يشعدي «الردشة» وكانت قد ارتدت من قبل ثوب الخروج فنهضت ونهض على أثرها ، فذهبا إلى الخياط في شارع قصر النيل ، ومرا على المصور في شارع عبد العزيز ، ثم اقترحت عقيلة على حافظ أن يجلسا قليلا في محل معين من محلات الحلوى تفصله على غيره لنظافته وهدوئه ، فمسا دخلاه انتبذت ناحية في ركن من أركان المحل فجلسا فيه . ولو جلسا إلى أي مائدة من الموائد لما حرك السكون من حولهما أحد ؛ لأن خلوا الأمكنة العامة في مثل هذه الساعة من النهار أمر مأثوف : والمحاولة في هذا المكان على الأخص مضمونة في كل وقت لارتوائه عن ضجة الناس في شارع البواكي .

وكانت النذل في هذا المحل من الفتيات الحسان في زينهن التقليدي الأسود . والفتيات بالطبع يحترمن احتسلا ، الرجل بالمرأة ؛ فلا نظرة فضول ولا علامة تمجب . أما الزوجان اللذان كانا يجلسان في الركن المقابل فكانا منهماك في حديث غزلي حاد صرفهما عن

في الساعات الثلاث الأولى من اليوم المدرسي أكثر الأسبوع .

وفي السكون الشامل والحياة الصحيحة مضت الدروس فنية جديدة أول الأمر ؛ ثم ظهرت الفيزياء وريح الخفاء فتحوّل إلى حديث صريف أقله بالفرنسية وأكثره بالعربية ، يشقق بعضه من بعض ، ويتناول أخبار الأسر ومغامرات الأوانس وزعجات العرائس وزعجات العدمر ؛ فيحاول أن يعلم أن يحجر سبيله الدافق يحمل التلميذة حتى أن تتحدث بالفرنسية ؛ ولكن الفرنسية لا تواتيها فتعود إلى العربية ، لأن هواها أن تتكلم لا أن تتعلم . وكانت تدس في ثنايا الحديث بعض المعاني الخاصة فيتجاهلها المعلم وعصرها بلباقته إلى المعاني العامة ؛ فتعود هي إليها وتلج عليها كما تلج النحلة الشرهة على رحيق الزهرة كما ذمها أحد عنه .

ويزم المعلم بهذه الدروس التي بتلقاها ولا يلتقيها ، فقرر في نفسه أن يصارح التلميذة في اليوم التالي بأنها تحضر الوقت ولا تكسب التعلم ، وأن من الخير إذا كان معها الحديث أن تسكتي بما يجري منه بين ليلتهم في مساء كل خميس ويوم كل جمعة . وكان اليوم التالي يوم اثنين ، فلم يكذب يحبها ويجلس حتى قالت له وهي تنظر بفتور ، وهم في دلال : « اسمع يا أستاذي ! إن درسي اليوم سأخذه في

الدنيا كلها لا عن الخلق وحده . إذن ليس هناك ما يدعو عقيلة إلى التحفظ في الجلوس ، أو يحملها على التورية في الحديث ؛ فوضعت الشوكة في طبق الحلو ، وفتحت حقيبة يدها فمسحت شفيتها الرقعتين بالندبل الأبيض ، ومرت عليهما بالإصبع الأحمر ؛ ثم أثبتت عينها في عيني معلمها وعادت إلى حديثها تقول : « لنعد إلى موضوع الدرس الذي بدأته في الطريق . أنا أوافقك على أني أجعل الدرس وسيلة للحديث . وماذا في هذا مما تنكره ؟ ولم لا يكون الحديث المرسل وسيلة إلى الدرس ؟ أليست فيه جملة تصوب أو فكرة تصحح أو مشكلة تحل ؟ على أنك أذكى من أن موء الحق عليك وأكتم ذات نفسي عنك . أما منذ رأيتك استلطفتك ؛ فلما قرأتك أحبتك ؛ ولما خالطتك عشقتك . وجدت فيك كل ما أبتغيه من رجل ، ووقفت منك على كل ما أرتجيه في حبيب ؛ فذوقك وذوقه تحدان ، وشعورك وشعوري متجاوبان ، وحظاك وحظي متشابهان . قلبك روعة لا تفهمك ، ولي خاطب لا يفهمني . وفيك حساسية تتعبك ، وفي حساسية تعبني . ولا أخفي عليك ، فقد كان لي نزوات مع الشبان كنت أبغى من ورائها نشدان من أحب ، ووجدان من أخطب . ولسكني عات بعد طول الجولان والدوران أن القرنين الصالح لا يكون في الأماكن التي

أزورها ، ولا في الدورات التي أدورها ، فقتعت بابن عمي ؛ وهو كما تعلم عملاً العين ولا يملأ القلب ، ويرضى العقل ولا يرضى الذوق . وخبر ما فيه خلق صريح ، وضيق فني ، ولسان عف ، وثقة بمن يحب لا تجوز عليها ريبة ولا تنال منها وشاية . فأنا لا أحبه ولا أبغضه ، ولا أقبله ولا أرفضه . ولسكني منذ عرفتك ضاقت نفسي بهذه القناعة ، وعادت مرة أخرى تنطلق إلى حياة النور والشعور والحب ؛ فوقفت عندك وحامت عليك . ولا أدري وقد فتحت لك قلبي ، وصارحتك بحبي ، أتعجب إلى أم تنبو على ؟

قالت ذلك ووضعت على المائدة مرفقيها ، واستندت ذقنها بكففيها ، ثم حدثت في وجه حافظ وسكنت تنتظر ما يقول . وكان حافظ يستمع إليها وهو ساكن واجم مطرق ، لا يقاطع ولا يرجع ولا يمتعض . فلما فرغت من حديثها رفع إليها طرفه وقال : يظهر يا عقيلة أنك ذكرت نفسك ونسيت غيرك . نسيت أنك مخطوبة وبنت عم ، وأنى متزوج وصديق (أمين) . فهمت عقيلة بأن تجيب لولا أن قال لها حافظ : اسمعي إلى كما سمعت إليك ، ولا تراجعيني قبل أن أفرغ . إن أمينا صديق وصفي ، ومن حقه على أن أحفظ ذمته وأرعى حرمة . ولقد لا يسته طويلاً ثأمت عهده ولا أهملت وده . ثم إن عرفتك لأنى عرفته ، وصادقتك لأنى

سابقته . وما دخلت بينك وبينه إلا لأوثق
 الألفة بين قلبك النافر وقلبه الطمأن : فقد
 شككنا إلى كثير من طول إعراضك عنه وسوء
 رأيك فيه . وما أراك تكرهين منه إلا
 حسن نيته وخالص طوبته واستقامة خلقه .
 وهل يصير الرجل ألا يكون فسكه الطبع
 وهو صاحب حد ، وألا يكون لبق الحديث
 وهو صاحب عمل ؟ إن الفتاة التي تعرف
 معنى الزوجية ، يدرك سر الأمومة لا تجعل
 من بيتها ناديا ولا مرقصا ولا حانة ، ولا
 تحلب من زوجها أن يكون شاعرا يطارحها
 الغزل ، ولا سميرا يناقلها الحديث ، ولا نديما
 يقارعها الكأس ؛ وإنما تجعل من بيتها
 عشا يفيض بالحنان والحب ، وحرما يشيع
 الراحة والسكينة ؛ وتطلب من زوجها أن
 يكون عاملا يكسبها الثروة ، وفاضلا ينيلها
 الشرف ، ومخلصا يذيقها السعادة . وأمين
 جدير بأن يكون هذا الرجل ، إذا كنت
 أنت جديرة بأن تهينى به ذلك البيت
 ثم سمعتك تدكرين الحب وتفسرين به
 تلك العاطفة التي تجدنيها في قلبك لي ، وأنا
 أيضا لا أكذبك قد شعرت بأن نبتة من
 هذه الفصيلة الخمقاء قد نبتت في قلبي لك ؛
 ولكنني أحاول جاهدا أن أمنع عنها الغذاء
 والري حتى تموت . لا أقبل أن أكون
 قطيعة قلبين أرجو أن أؤكد بينهما الصلة ،
 ولا أن أكون شقاء صديق أريد أن أوفر

به السعادة . وماذا يقول الناس عني ؟ ألا
 يقولون : صادق الثمل « أرسلته لي حبيب
 فزواج » . وماذا يقول الناس عنك ؟
 ألا يقولون : لموب تخرج من قلبك تدخل
 في قلب . كما تخرج من ثوبك تدخل في ثوب .
 على المشكاة يا صديقتي بوزنة
 والحلم . واعلمي على أن تعال المرأة
 التي يملك وبينها علاقة صديق بصديق . في
 علاقة المينة بغير . ومنجدين في الحب الذي
 يخلصه لك أمين ، وفي الصداقة التي يخلصها
 لك حذوطة ، متعة الروح وسكينة النفس
 وبهجة العيش

فقلت عفيفة : هل أفصحت عن كل
 ما في نفسك ؟

فقال لها : بالقدر الذي يعادل ما قلت .
 فقالت : أما كلامك فإذا قسناه بقياس
 العقل والمنطق فلا اعتراض عليه ولا ممارسة
 فيه . وأما إذا قسناه بقياس القلب والشعور
 انقطعت حجته ووهي دليله . إن الحب لا يخضع
 لميزان ولا يستكين بقيود . ومن يريد أن
 يطبق قواعد الأخلاق على الحب ، كان كأن
 يريد أن يطبق مواد القاتون على الجنون .
 فأننا نحب وكفى . وفي سبيل هذا حب
 لا نرد في قطع كل صلة ، وإبعاد كل
 قرابة . وإنكار كل عرف

فقال لها : وماثرة هذا الحب إذا لم يقص
 إلى زواج ؟

حتى يتكشف الأمر. فذهب إلى عقيلة في موعد
الدرس فوجدها مضطربة البال، كاسفة الوجه،
محجرة العين، لا تستقر على حال من القلق.
كانت تخشى ألا يجي؛ لأن هينته في السيارة
ولم يجدته عند الداع لم تبعث في نفسها الطمأنينة،
فلم تكذب تحول إليه في المكتب حتى أقبلت
عليه والدمع يترقق في عينيه، وأمسكت
بكتفيه بيديها وهزهما هزاً رقيقاً وقالت له:
لك الله يا حافظ! لقد أسهرت جفني حتى
الصباح، كان شيطانى يوسوس في صدري
بأنك لا تجي!

ل أنت صدرها من صدره كأنما
تريد أن تعاقبه، فردها بيديه رداً ليناً؛
ثم أجلسها على الكنية وجلس بجانبها يريد
أن يسكن من روعها. ولما تكلمت انفجرت
بالبكاء، وألقت بنفسها عليه، ورتبها حافظ
وحاول أن ينحيا عنه ليهض غمها أن
يدخل عليها المكتب داخل سمع البكاء،
ولما تكلمت سقطت بساعديها على ركبتيه
وأثحت على يده وذراعه بالتقبيل واللم وهي
تقول في نحيب وضراعة: «لا تفارقني
يا حافظ! قل لي إنك لي! أنت أول من
أحببت فلا تفجعني في حبيبي الأول!
ليس ما لي عيش طفولة ولا نروة شباب
كما قلت: إنما هو الحب الذي طامسنا
سمعت به وقرأت عنه، عذبت كثيراً من
الشبان عن عيش ولهم فانتقم الله لهم مني.

قلت: أنا أريد هذا الزواج. فإذا لم
ترده أنت فلتكن نكحة الحب كما تكون.
أهدني بشرتك أن نخل دائماً معي كما يكون
الزوج مع زوجته، أو الحبيب مع حبيبته.
ولا أأبى بعد ذلك أن تكون علاقتي بك
عقدًا عند ماذون، أو عهدًا عند شيطان.
وعاهدني بشرفي أن أظل لأمين المخطوبة
الزوجة والزوجة الطيبة. ثم رفعت يدها اليمنى
وحركت شبايتها في الهواء منذرة وقالت:
«إني أريدك يا حافظ بأني من! فإذا بدا
لك يوماً أن تفك دون إرادتي تركت لك
الحجود كله!»

فقال حافظ وهو شكك الابتسام ويتصنع
الحدود: «عشت طفولة ونروة شباب! وما رأت
قوى الرشد في أن أترجم نفسي وأشاوري
عفتك فيما قلت وقلت»

وكان عمرياً الساعة قد اجتمعا عند
الساعة الثانية عشرة، وقالت وهي تنظر في
ساعة يدها وتشير إلى القمرين المجتمعين:
«يجب أن أظل هكذا وعقرب الثواني
عبد!» ثم نهضت ونهض حافظ وركبا
سيارة لبنا فيها صامتين مفكرين حتى بلغت
بهما البيت فودعها ثم رجع

لم يشأ حافظ أن يغير من نظامه ولا أن
يخرج عن عادته: فقد رأى من الحكمة أن
يعالج الأمر باللين، ويستعين على الداء بالمسكن

عندى بأن تكون لى على أى حال . وإذا كان أمين هو العقيلة فبأنى سأفسخ خطبته ، وأنكر قرابته . » ودخلت الخادمة تحمل القهوة وعقيلة على هذا الوضع ، فتظاهرت بالإغماء ، وأخذت حافظ يربت خدها ويدلك يدها . وطلب من الخادمة شيئاً من روح الشادر أو ماء الكولونيا فذهبت مسرعة . وجاءت الأم لحنى تحمل المنبهات ، فأضجعت ابنتها على صدرها الرءوم وهى تقول لحافظ : « توقمت أن تصبح عقيلة مربية » . فقد باتت ليلتها تتعادل ، وتتقلب ، وتخرج من الغرفة إلى الشرفة : ثم تدخل من الشرفة إلى الغرفة ! « ثم بدا من عقيلة مادل على أنها أذلت ، ففعلتها أمها إلى الفراش . وانتهى الدرس وانصرف المعلم

خرج حافظ كالماتم لا يدري كيف يسير ولا أين يتجه . ثم يكن يحسب أن الحب قد برح بعقيلة إلى هذا الحد وفى هذه السرعة . وعزا هذا الظلم إلى الغرامى العاقب إلى تأنيبه عليها وتحفظه معها وتجافيه عنها . فإن الفتاة العاطفية المدللة التى تعودت أن ينزل على حكمها الأهل ، وتجري على هواها القلوب ، لا تطيق أن ينصرف عنها وجه ، أو يمنع عليها طلب ، أو يطأش لها سهم . ولكنه لا يستطيع أن يفعل غير ما فعل . الأمر بينها وبينه واضح : إما أن يتزوجها

فتكون كارثة على سديقه ، وإما أن يخادعها فتكون نكبة على ضيقه ! فأما الخاتمة الثالثة وهى الصداقة البريئة فقد ردتها بعنف ورفضها بمناد . على أنه قدر فى نفسه أنها إذا بشت من الزواج واتحادنة رجعت بالطبع إلى الصداقة . واليأس وإن كرب الصدر وصدع الفؤاد ينتهى بعد زمن قصير أو طويل إلى الراحة .

وكأن قد رجع إلى منزله ، تجلس على مكتبه وأخذ يكتب إليها هذه الرسالة :

عزيزتى عقيلة :

لقد كان من فوق احتمالى أن أراك تبكين هذا اليكس الحار بين يدي فى هذا الصباح بعد أن علمت من أمك ما كابدت من الأرق والقلق طوال الليل . لا أدري كيف تطور الأمر بيننا هذا لتطور الذى يكدر الصقور ، ويفرق الشمس . وعزق هذا المثلث الذى جمعه الورود والأفلاك خلاص . ليس لك بد فى كان . والحق هو القدر الذى يصيب بالحب كما يصيب بالحنى ، ويصل بالموى كى يصل بالعمى . ولقد شبهتنا فى حديثك بالأمس نحن الثلاثة بعقرب الساعات وعقرب الدقائق وعقرب الثواني فى تمام الساعة لثانية عشرة ، يجتمع اثنان فى هدوء ، ويفترق الثالث فى اضطراب . وقد كنت أنا قد شبهتنا من قبل بالأقانيم الثلاثة التى يمكن أن تكون منها واحد فى رأى المسيحية ، وهى الآب والابن وروح القدس وأستطيع بعد

أن سمعت منك ما سمعت في محل الخلو وفي
مكتب الدرس أن أشبهنا أيضا بثلاثة (جوتة)،
وهم فرز و كستز و شرلوت . ومن العجيب
أن الثلاث التلات تشابه في أن واحدا
منها لا بد أن يصاب في نفسه ، ليضمن
السلامة لغيره . فعقرب التواني كتب عليه أن
يدور منعزلا في مداره الخاص لينظم عمل
الساعة . والابن صلب على قول النصاري
ليكفر عن خطيئة آدم . وفرز انتحز على
رواية حوتة ليوفر السعادة لحييته والصدقة .
وأنا يا عقيلة لا أريد ولا أنت تريد أن
تتوت واحد منا . أريد وأود لو تريد أن
يعيش ثلاثتنا في ظلال الصداقة الخالصة
وإدعبن هاتين لا يدخل بيننا شيطان ، ولا
يشوب حبنا ريب . ونعمل من الخير أن
نقطع الدرس من الغد نستأنفه حين يشوب
الحمد ، ونقوب المودة . أما زباني إليك فلن
تقطع . سأزورك مع أمين في كل ليلة
ما أسمع مني الفرصة . والله كنتي الحال .
وسأكون لك وخطبتك على الأبد المحب
أبوي والصديق الأمين

حافظ

ثم غلب الرسالة وبعث بها مع خادمه
إلى منزل عقيلة .

وفي صباح اليوم التالي زارني في بيته أمين
وأخبره وهو جريح مضطرب أن حالة أمه
عنه سيئة ، فقد قصت ليلة أمس الأول على

غير عادتها ساهرة تتردد بين الغرفة والسرور .
تقرأ ساعة وتفكر أخرى ، فأصابها برد
شديد بلغ الزلّة . وقد تركتها بين يدي
الطبيب وحرارتها تسع وثلاثون ، لأسحبك
إليها فقد طلبتلك

جرح حافظ لهذا الخبر وأشفق على عقيلة
من عنى هذا الداء . وأسرع فارتدى ثوبه
ثم انطلق مع صديقه إلى منزل عمه .

كانت عقيلة حين دخل عليها الصديقان
مستلقية على ظهرها في الفراش وعلى جنبها
كرسي الثلج ، ومن حولها أمها وبعض سيدات
الجزيرة . فلما رأتهما أشارت إلى أمها أن
تخلي لهما مكانا بجانب السرير . فاضربت
السيدات وجلس الرجلان حيث أرادت
المريضة

والثقت عقيلة إلى حافظ بقدر ما سمع
لها كرسى الثلج . وكانت عينها وحدها
يتوهجن من وقدة الحمى . وأخذت تد
في يدها وقالت : قرأت رسالتك مرارا حتى
رغم ما في . ثم دسستها تحت الوسادة ليقرأها
أمين . وإني أشكر لك ما أفضته على صديقي
لك من تبال ، وما أسديته إلى علاقتي بأمين
من فضل . وأحمد الله على أن اختارني من
بين ثلاثتنا لا أكون فداء لما قد ينال صحتكم
من فرقة ، وبصيب مودتكم من فتور . وأنا
بهذه التضحية مغتبطة وعنها راضية . لقد
أدقمتني في هذه الفترة القصيرة من عمري أنه

ما في هذه الحياة المرة من حب وعبطة
كانت لذي في أن أرح وأخوفها تماماً
في هذه اللذة . وكانت سعادتي في أن
أحب وأحب فوفرتما لي هذه السعادة .
وبدا قضي الله أن أفارقكما اليوم كما يحدثني
بذلك قلبي ، فمن أقول في وحشة القبر إلى لم
أمر بالأنس ، ولا في ظلمة العدم أني لم أسمع
بأوجود . وحسني يا حافظ أن أحيا في ذاكرة تلك
وذاكرة أمين . سجداني ثالثكم في كل
مكان تقعدانه ، وفي كل حفل تشهده ،
وحسني يا حافظ حين نأكل أو نشرب
تلك اليد العائنة التي كانت تتففلك عن
لذاتك فتشبهه . أو عن شرابك فتشربه ...

وعلمها البكاء ، فسالت مداً معها الحرار الغزار
على سداً المتهب . ولم تلك الصديقان عينيها
فالتحبا انتحاب الطفل . وتجاد حافظ ففيض
من دمه وقال لها وهو يمسح ظهر كفيها
بباضن كفه : لا يأس عليك يا عقيله !
إنك تخير . وستعافين بعد أيام فيلتئم
الشمل ويستمر الدرس وتعود البهجة !
ولكن عقيله وأسفاه كانت أصدق
تعبيراً عن مشيئة القدر : ففارقتهما بعد أباء
وخلفتهما للحجرة التي لا تهدأ ، وللمبرة
التي لا ترقأ . لا يجدان العزاء في تسلية ولا
متعة ، ولا يجتمعان إلا على ضريحها صباح
كل جمعة عرس الزيات



أقتل أم انتحار

من المثل الذي نشر في العدد الثاني من رواية تحت هذا العنوان

من المستحيل أن يبقى جسم شخص ميت معتدلاً وسط
المنعم وبخاصة إذا كانت السيارة قد اجتازت طريقاً طويلاً كثير
المنعرجات والفجوات . لهذا رأى المأمور الحادث قتلاً لا انتحاراً

لَمَّا

للغاية الفرنسية أن ياتر
بقلم الأستاذ محمود الخفيف

أذهب إليه مساء كل سبت مع زميلة لي .
وكان يجلس وحده ، وسرعان ما أخذه
عيناى إذ لم يكن رجل مثله فيمن حوله .
ولست أصفه بلوجاهة لحسب ، فقد كان
شيئا فوق هذا . لقد كان له من جمال السمات
ما يميزه من كل شخص يحيط به .

كان حسن الهندام ذا شعر يعجب من
براه ، وبدين جميلين أو مرموقتين كما يقول
عنها الناس ، ولم يكن صديقى من الطبقة
التي أسمى إليها .

إنه لشرب وحده ، ويطعم وحده ،
وينظر إلى كل رافضة ومراقصها ولا بدعو
إلى مائدة امرأة أبدا ، ولقد ظننت أنه
سوف يدعونى إليه ، ولكنه لم يخطر ذلك
بباله يوما ؛ كان ينظر إلى حجب . وضحكت
ذات مرة ضحكة عالية أسرعى بها ابتهاجه
ولكنه أشاح عني في صورة أشعرتنى بكثير
من التجل كما لو كنت ارتكبت جرما .
وأحسست أنى أزعجته ، وإن كنت لم أنبئ على
أى وجه كان ذلك ؛ ولبتت بقية ليلتى صامتة
ورأيت هناك فى الأسبوع التالى وكان

لي صديق شاب ، وكما اتخذت من قبله
أصدقا ، ولكن لم يكن فيهم من كان له في
نفسى أثر . صحبتهم إلى السيئة أو إلى
المرقص ، كانوا يجيئون أحيانا إلى مكان
عمى فرادى باحثين عني ، فما هو إلا أن ينقضى
المساء ثم لا يبقى لمن صحبتته ذكر فى خاطرى
ولكن هذا الصديق يختلف عن هؤلاء .

ولست فى الواقع أعرف من هو إلا أنى
أشعر حياله كما لو كان ملكا لي . ولم يتحدث
إلى هذا الصديق قط . ولكن أفهمه حق
الفهم من نظراته إلى . وإنى لأعرف أنه
لا يريد أن يغمرنى أو يتخذنى هزوا ، وها
أنا ذى أنظر أن يسمي إلى

ولا يكاد ينظر إلى صديقى هذا . حتى
أجدى غير ما كنت . ثم أشعرتنى لم أعد
أرعب فى المرقص وأحب أن أبقى معه
وحده صامتة . اعم إلى حين ينظر إلى أشعر
أنى فتاة أخرى ، فأنا أحس عندئذ أنى أكثر
ذكاء وأكثر احتشاما . وأحب أنه يجنبني
على هذه الصورة

لقد رأيت أول مرة فى مرقص كنت

لا يزال يجلس وحده . وقد استمر الحال بضعة أسابيع على هذا التوال . إنه ينظر إلى لا أكثر ولا أقل ، وهذا كل ما أجده منه . واطالما تعجبت ، وذهبت إلى الظنون كل مذهب : أيتخذني مسلة ؟ فإنه لا يحاول أن يتعرف إلى . أنه نوع من الخنوع ؟ أهو من سكره لا يفيق ؟ ولم أجرو على أن أسأل أحدا فما أحب أن أظهر بمظهر من تسعى في طلبه . ولم أحدث بكلمة عنه إلى جانين صاحبتى التى أطلعها على كل شئ ، وأحدث إليها عن كل شئ . ولست أدري لماذا لم أنبئ صاحبتى . وأكبر الظن أنى خشيت ألا تفهمنى . وربما ذهبت إليه فأنبأته وأقضت إليه بكل شئ ، تقصد إلى العيب والزواج

لقد احتفظت بحبي سرا دفينسا كانوا كنت أكتبه ذنبا . وأعجب من ذلك أنى كنت أشعر أحيانا بالخجل من هذا الحب . أجل كان يخصانى أنى أكتبه . وإنه لتمر في أيام فلا أمسك لحظة عن تذكر صاحبتى . إنى لأحلم به إذا نمت ، فإذا أفتت كان شخصه ماثلا في خاطرى كالو وضعت صورته الشمسية أمام عيني

وأحسست من حبي أول الأمر بالسعادة ثم أحسست بالنضب . وازددت صاحبتى ، وما لبثت أن شملتني كتابة شديدة . والآن

أشعر بشئ من الخوف ولست أدري لهذا الخوف سببا

لقد سئمت سؤالى نفسى : ترى من هذا الرجل ؟ ولم لا ينفك ينظر إلى ؟ إنى لأعلم أنى أعجب من يرانى ، ولكن هناك مثلى كثيرات ، وأكثر منهن من يفقنى جمالا ... لذلك حق لى أن أسألك ماذا يبتغى منى ؟ لقد اختلط على الأمر حتى ما أدرك شيئا سوى أننى أحبه . ربما كان مرد ذلك إلى أنه يلهو بى ويتسلل بأن يلعب بلب صبية مثلى . ولكنى لست أراه كهؤلاء الذين يلهون بمثل هذا العيب

ولقد تخلق حوله ذات ليلة صديقات ، وكانت صديقته يتدثرن بالفراء ، وكن يضحكن ضحكات عالية ، وثقت أورتنى مرحمن الضيق ؛ على أنى ما لبثت أن تبنت أن ذلك لم يغير شيئا مما كان بينى وبينه

إنه فى تلك الليلة ما برح ينظر إلى . ومن أعجب الأشياء فى الحب شدة شعور من منه الهوى بكل شئ يتم إلى عاطفته بسبب . لهذا فهمت نظراته ، ولم أحس فى نفسى شيئا من الموحدة عليه . بل لقد غطت إلى أن بينى وبينه نقاشا هو نوع من الموافقة على أنه لا يمكن حينذاك أن يريد على ما كان عليه . وعلى ذلك فقد قنعت بأن أنتظر . ولكن كان يريد أن يبين مبلغ احتمالي فلا على

الأمير على عكس ذلك فكان المطر ينعشي .
 وكنت أحب كذلك الأضواء والأصوات
 إذ كانت تبعث في نفسي من النشوة ما تبعثه
 الراح في نفوس غيري . وأغرمت بالمشي في
 الشوارع المزدهجة لأسمع أصوات الباعة
 وأبواق السيارات . وكنت بحيث إذا
 سمعت نغمة الفالسي ورأيت الراقصين ،
 وجدت في ذلك ما يكفي لأن يشبع الطرب
 في نفسي ، ويجعل عيني رقصان ورأسي
 يدور . وكثيرا ما قال لي أصحابي
 وصويحباتي إنني أسعد بمجرد الوجود .
 ولكنهم وأسفاه لن يستطيعوا أن يقولوا
 ذلك اليوم فإني لأشعر أني أكبر سنا
 وأكثر عقلا ... وأحس الليلة كثيرا من
 التعب ، ومع أنه لم تمسني وعكة شعرت
 كما لو مسني الضر . ولم ترفع الصحاف من
 مائدتي ، ويبدو الإهمال في عرفتني . بما
 تبصره العين من طعامي الذي أراكم في
 طبق واحد وكأني التي لا زال ملأى ،
 وفوطتي الملقاة على البساط

ما أشد ما تبعثه هذا المنظر من حزن !
 إنني لأحس ما تحسه ذات الضنى ، ولكنني
 أشعر أنه هناك ينتظري . ولست أدري
 ما إذا كان يشرح صدره لهذا ، ومع ذلك
 فإني أتحرق شوقا لرؤيته . أجل أسكاد تقتلني
 الرغبة في لقائه الآن

من ذلك فإن شيئا لا بد أن يحدث بيني وبينه
 يوما ما . وإنني لملي يقين أن حالتنا هذه لن
 تمتد إلى آخر العمر . وإذا لم يكن ما بيننا
 هو الجد فلن أفكر فيه بعد اليوم وأحسب
 أنه من جانبه يرى هذا الرأي

وفضيت على هذه الحال أياما وإيها
 لتجربة عجيبه حقا . إلى أن كنت ذات ليلة
 فأحسست أني كاسفة البال محزونة ، أذوق
 طعماي ولا أكاد أسيغه . وربما كان ذلك
 هو السعادة الحق ، ولكني لم أذق مثل هذا
 من قبل ولست أدري ماذا بين شعوري هذا
 وبين الأسى من فرق

وكنت على علم أن جانين ان تلبث أن
 تحضر إلى فتنتشلي مما أنا فيه . ولبت أطل
 من نافذتي قلقة أحس ضيقا شديدا ، وأشعر
 بالحسرة لأنني لست أمضي مسرعة إلى
 المرقص قبل الموعد كما كنت أفعل من قبل
 ومل نفسي التغم ، فتلك كانت حالي التي
 تعودت . أما الليلة فحسبي أن أتطر إلى
 قطرات المطر ! وإن مرأها يشعر النفس
 بالحزن كما يشعرها به الضباب ، فإنها الدقيقة
 حتى لا تسكاد تبصرها الأعين ، وإنها لتكاد
 تهجب نور المصابيح ، وهي كذلك تخفت
 الأصوات . ولقد كنت أحب المطر من قبل
 وما غشيتني منه كذابة قط . بل لقد كان

وإن ذلك يضابقني ولكن فيه شيء من
المتعة . بيد وإنى ليحزننى أحيانا ألا أكون
ما كنت من قبل ! إلا ما أشد تعقد
الحب !

يا لى ! ها أنا ذى فى غرفتى منذ ساعة
لا أعمل شيئا وأبدو قبيحة المنظر قبيحا مروعا ،
هندام غير منتظم وشعر أشعث ، وأنف يبرق
من الزكام . لا بد أن أصلح من حالى لتلقى
الأبصار . آه ! مالى أرتعش ؟ لا بد أن
أكوز . حذرة فى تبرجى مخافة أن يتحدث
جانين أو غيرها شيئا . ولا بد أن أحفظ بسرى
طلى الضمير حتى أصبح على بينة من أمرى
إلى بسبيل أن أظفر بالسعادة ، ولسوف
أحظى بها ، وأنا منها جد قريبة . إننا لن
نستطيع أن نظل صامتين أكثر من هذا .
وإن نفسى لتزداد رغبة يوما عن يوم حتى
ليصبح تنفسى تنهات طويلة . ولا بد أنه
يشمر مثل هذا الشعور

أبغضنى المطر عن الذهاب ؟ كلا فإنى
أحب المطر . ولسوف نعدو تحته حتى نبلغ
المرقص . وسوف أدخل وشعرى يبرق
بقطرات الغيث وبشرتى منددة من أثر الهواء
البارد البليل كالفاكهة أخرجت لثوها
من الثلج

وأسرعتا الخطى صوب المرقص ، وكانت
لانسك جانين عن التثرة . وقبلما أصفيت

لن أستطيع صبرا بعد ذلك . إنه يجب
أن يكلمنى ؛ ونظمتى إلى ذلك دون نتيجة
إنما هو الموت شيئا فشيئا كل يوم
ليست فى رغبة فى الرقص ، ولست
راغبة فى الذهاب إلى المرقص . وما كنت
أذهب إلى هناك من أيام مضت إلا لأراه .
ولكم أحب أن أقابله فى أى مكان غير هذا
فى حديقة مثلا أو فى قهوة صغيرة حيث
لا يوجد من يحيطون به . أما هنا فإنه
يتبينى أن أظهار بأنى أمتع نفسى كيلا يفطن
إلى سرى أحد . وهذا مجهود يشقبنى .
ولكن هل يشقبنى حقا ؟ هل أستطيع أن
أقول صادقة إنى لم أجد فى ذلك متعة وأنه
لم يكن واجبا فرض نفسه على ؟

إنى هناك مضطرة إلى أن أعمل مالا
أريد وأقول مالا أحب . فإذا رفضت
أن أراقص شخصا فرمى ظن أنى أتخير
الرجال . وايس ذلك هو الحق فإن فى الرجال
من ينفرنى . فيهم من يبلل العرق أيديهم ،
وفيهم ذوو الشعر الذى يفرز ما يشبه الدهن ،
وفيهم من يحمر وجهه إذا سخن . ولقد
قيلت أن ذلك كله ضرب من الحماقة ،
وأحسست أن صديقى الذى لم أعرف بعد
من هو كان يدرينى لأنى لم أفطن إلى ذلك
من قبل . لقد تغيرت شيئا فشيئا حتى
أصبحت وكأننى دخلت فى إهاب فتاة أخرى

لاشيء فيه من بهرج ولازينة ، وكان شعري متموجا بعض الموج ولبس فيه حلى . ولقد أردت أن أكون على تقيض جانين لأنى أعلم أن ذلك يسره

آه ! إننا على مقربة من الرقص ! وإن قلبي ليئب في صدري ، وإن خطاى لتبطى . لقد جذبتني جانين من يدي وأنا شديدة الاضطراب . ولو لم أخف من دخول الرقص وحدي لطلبت إليها أن تسبقني ... ها قد بلغنا الرقص ! إنى خائفة كما كنت أبدو حين كانوا يسألوننى أسئلة في المدرسة . لقد فتحت الباب جانين وحيانا مزيج من الدخان والموسيقى والضوضاء ثم لفنا هذا المزيج وشكلنا . وإنى لأحس أول الأمر كأنو كنت عمياء ، ولكنى أستجمع سمات شعاعى وأفصح عيني ... أحمد الله ... إنه هنا !

ما أسد ما يبدو من هدوئه وسط هذا المكان الهائج الزدحم ! لقد أشاع ذلك في نفسى سكونة عظيمة ، لأنى شعرت أنه إذا توقع أحد على أو ضايقتنى أقبل هو لينقذنى إذا دعوته . وإنى لأحب أن أكون في حمايته فإن تقبى به جد عظيمة . ولقد يبدو ذلك منى سخيفا إذ لست أعرف شيئا عنه .. ولكن ما حيلتى وهذا شعور لا قبل لى بالتخلص منه ؟

وقلت في نفسى : يا عجبا ! لقد كنت

إليها ، وقد كنا متأخرتين فقلت لنفسى : هي أنه خرج أو لم يأت هذه الليلة ! لقد اعتدت أن أراه كلما دخلت سالة الرقص يجلس في نفس المكان ويحيمنى بنظرة . إنه يثبت في نظرتي ولكنى لأجد فيها شيئا من الابهاج ، وإن كنت أقرأ فيها كل مرة قوله لنفسه « هاهى ذى قد أنت »

ولقد ضايقتني جانين بعض المضايقة بثروتها التى لا تفتر . ولقد قيل : قل لى من تصادق أقل لك من أنت . وأملت أن تهذا بعد حين فإنى لأحب أن يظننى على شاكلها

ولقد توثقت المودة بينى وبين جانين . ولم يكن في حياتها شئ يختلف عن حياتى . وهى لحسن الحظ لا أدري أنى تفقت أشياء كثيرة . وكنت أصبح بها أحيانا « أمسكى يا جانين . . كفى » وكنت أحيانا أمزق الزهورات الصناعية الممتدة في شعرها فإنها لم تكن مناسبة قط . ولقد نظر صاحبي ذات ليلة إلى المشط الماسى الزائف الثبت في شعري ، نظرة جملمتى لأضع في رأسى ذلك المشط أبدا . لقد أصلح من ذوقى ، وبعد عجيبا أن كان مرده إلى شخص لم يتحدث إلى قط . وإنى الليلة أبدا جميلة وإن لم يسكن في ملابسى شئ مما يأخذ العين

لقد كنت أرتدى فستانا أسود جديدا

أن بي سقما ، وأكاد أفضل لو أني جئت فلم
أجده . ولكنني أنلف على أن يتحدثني
وتشتد لهفتي إلى حد أن أشعر أنه بسمع
ما يدور بخلاي فيحمر وجهي كأنه قطعة
من الوهج

وبتسلي الرقص وبمود الراقصون
ومراقصاتهم إلى الموائد . ويطلب الفتية
كؤوسا من الخمر المشبعة . وأنظر ابتهاجهم
وأرى كيف يتنادون فأناظرهم كما لو كنت
لا تربطني بهم صلة ؛ ويبدو ذلك مني سخيفا
لأنه يعلم أني أعرفهم

وتأتني الحيرة وأنا بجانبه . ويدخل
المكان قادمون جدد ويتراحف الناس
بتقاعدتهم متلاصقين وأجدني أترشح حتى
أزداد قربا منه ، وتمس ملابسي معطفه مسام
خفيفا ولكنني أشعر كما لو هزت الكهرياء
بدني من قمة رأسي إلى إخصي ! فأب
والفتفت نحوه ، ولأول مرة أثبت عيني في عيني
ثم أقول : « أسألك المذرة »

ولعله لم يفتن إلى شيء ، ولذلك
بتعجب من قولي هذا . ويرعاضني آني حمقاء ،
ولكن لم تعد لي حيلة وقد حدث ما حدث .
وأتسم وهو يقول « عفوا »

آه ! كم أحببت صوته ! وكم أحب كل
شيء يحيط به ! ولقد كان يقول لي غيره
من الفتية « عفوا » قبل ذلك ، ولكن

عازفة عن المجيء إلى هنا ! لاشك أني كنت
مجنونة ! وبينما كنت واقفة هناك إذ عثرت
لنا جانين على مقعدين بالقرب من فتية
أصدقاء كنا نعرفهم . وكانت الصالة مكسطة ،
ورحت أنتقل في عسر شديد بين القاعد
والوائد ولا أفئا أقول : « معذرة » كلما
خطوت خطوة لأنني كنت أصدم كل
مائدة . يا إلهي ، إن مائدتنا ملاصقة
لمائدته ، وإني لا أقوى على رفع بصري إليه .
ولقد لاحظت ذلك جانين فقالت « ماذا
دهاك وما هذا الذي يرسم على محياك ؟ »
ووددت لو خسفت في الأرض . وخالجتنى رغبة
في الخروج من الصالة !

وذهبت جانين لحسن حظي إلى حلبة
الرقص ورفضت أن أذهب معها .. وبلاه !
بينني أن أتأسك فأقضي على ما بي من
اضطراب شديد . ولكنني لا أستطيع . إني
لأبدو كما لو أني اخترت هذا المكان عن قصد
فأني على مقعد يحاوره ! وإني لأشعر كما لو
كان يحملني إلى ولكنه ينظر أمامه لا يحول
بصره ولا يتحرك !

إذا التفت عيناى بعيني هذه الليلة ،
فلن يجيء ذلك عفوا . إنه يحدث لأننا هكذا
أردناه . ولكننا نجلس كلانا في غير حراك
كصورتين جانبيتين على وجهي نوط !
(مبدالية) . ويشتد اضطرابي حتى لأحس

أفواههم كانت تبدو كما لو ملأها الغراء ..
ولكن أهذا كل ماسيقوله ؟ أيقف
عند هذا ؟ يا إلهي إني أسألك ألا يتوقف
الآن . ألا يجب أن يتحدثني ؟ أكان يكذب
كل ليلة حين كان ينظر إلى ؟ ولم أطق صبرا
فتمنعت قائلة « إن الطقس حار الليلة ، أليس
كذلك ؟ » إنه يتقدم ثانية قائلا « جدا »
ولا يقول غير ذلك . أراه يبعث بي ويسخر
مني ؟ ولكن ابتسامته لانتم عن هذا فقد
ابتسم في ظرف . ويظل ينظر إلى دون أن
يتكلم كأنما ينتظر أن أمضي أنا في الحديث .
وأحس أنا كما لو كنت أغرق ولكنه
لا يمد يدا لينقذني . ورأيت أنه لا بد لي أن
أحدث فإني إن لم أفعل ذلك الآن فلن يكون
أبدا . فقلت أشير إلى الموسيقى « إنها جوقة
جيدة » فقال « لا بأس بها » . ولقد فاه
بهذه العبارة ليوافقني لحسب ... تبينت
ذلك فيما ارتسم على شفه . وخالج نفسي شعور
عجيب كما لو كنت قد فهمت بكلام سخيف
ولم أدر ماذا أقول بعد ذلك ...

ولا يهرح ناظرا إلى في صمت ، وقد
ارتسم على محياه مزيج من التلطف والتسلية .
إنه لن يأخذني مأخذ الجد وإن ذلك ليكرهني
ولكني أقول لنفسي لا ضير فقد يكون
وراء ذلك ما هو أسوأ . ثم إني أستشعر من
الثقة قدرا لم أستشعر مثله من قبل وأقول

صبرا ما دام يفكر في . وبينني ألا يتطرق
إلى نفسي اليأس يمثل هذه السرعة . وإذا
كنت لا أستطيع أن أتحول بفكري عنه
فالدنوب في ذلك ذنبه ، فلا ينبغي أن ينظر
نظرات كهذه إلى فتاة لا يحبها . ومن الحق
كله إذا اعتقدت أنه يحبني وإذا أظهرت
له الحب كذلك . ومن جهة أخرى إني لم
أر في حياتي رجلا خجولا مثله في سن
كسنته . إنه لم يمد بعد غلاما فهو في الثلاثين
من عمره على الأقل . وأفرغت كأس في
جرعة ، فمدع ذلك حلقى وكاد يحنقني ،
ولكنني أحسست أني خير مما كنت . وعاد
بعض القتية ومرافصاتهم إلى الحلية ، وبقيت
في مكاني . وأراد فتى أن يعا كسني فقال
« بعد أن تأخذى حظك من الراحة اكتبني
إلى رسالة » وأحسست أنه متعيط ولكنني
لم أعابها . واتجهت إلى صديقي وقلت في
نبات « ألا ترقص أبدا ؟ » فأجابني بقوله
« لست أحب الرقص » ثم تبدو صرامة في
وجهه ويشيح عني . وبمود بيننا صمت
طويل أحسست أنه باعد بيننا بأسيال .
وأنفكر ثم أنفكر ، وكلما تفكرت أحسست
أنى منه أسوأ مما كنت ... أسوأ كثيرا
لعمري . الآن أدرك لماذا يجيئني إلى هنا .
إن نفسه تنطوي على ذكرى ! هذه هي حاله
لا شك . لقد كان يحضر إلى هنا من قبل

ولم يكن يومذاك يحضر وحده . ولا بد أني
أشبه صاحبه ، وهذا سبب نظره إلى دائما .
وأرعد وأنا على مقعدى وأنب من الألم .
يا لى من بائسة ! لم بعد ثمة لى من أمل !
ولعمري ما هذا الذى كنت أفكر فيه ؟
ما هذا الذى كنت أمتنى نفسى به ؟ أهو
رجل كهذا الرجل ؟ إنها لسخرة بائغة !

وبنتابنى شعور بالسقم ، وأحس كما لو
كان قلبي يتقطع . ويضع يده على ذراعى
فأقول لنفسى إن لم يسحب يده فى الحال
فأصرخ ، وأرى أنه لحسن الحظ لا يلاحظ
شيئا . ثم إنه قال لى « أتحبين الشهبانيا ؟
أقصد النوع الأسيل . » ولم أذق قط ماهو
أقوى من الخمر الشمشمة ولكنى أومأت
إيماءة القبول وأنا أعص على شففى وأحس
كأن حلمى لا يريد أن ينطلق

ومما زاد حسالى معه سوءا على سوء
ما كان بغيبه على من ظرفه وتلففه ، فقلقد
كان من الظرف بحيث لا يسعنى إلا أن
أأخذ كل شىء بقدمه إلى ، وإنى لأأخذ كل
شىء وأنا أشعر أن ليس وراءه ما يجعل له معنى
ثم أتجد إلى قائلا « هذا حسن فلنحاول
أن نشرب زجاجة إذا كان لديهم هنا ذلك
النوع » ثم تقبل الساقية على إشارة من يده ،
ويحضر لنا صاحب الصالة بنفسه زجاجة مما
طلب ، ويبدو عليه الاهتمام وهو يضعها أمامنا

وتنظر إلينا جانين ومراقصها وهما بدوران فى
الخلية وتشير إلى بذقنها وأقرأ فى وجهها
أنها تقول عنى « لقد بلغت منه ما تريد
ولست صاحبتى بحمته . » ألا ليتها تعلم
ما بنفسى !

وأدور بعينى أنظر فى الصالة فهذه آخر
مرة لى فيها ثم أرفع رأسى قائلة له « أشرب
نخب صحتك يا سيدي » فيجيب قائلا
« وأشرب نخب هتاءك يا طفلى »

ويسود الهدوء فى الصالة شيئا فشيئا ،
فقد أخذ منذ لحظات يغادرها الناس ، ولم
يبق إلا أربعة أشخاص أمام المائدة التالية
وتتجه جانين بنظرها إلى وتصبح بى قائمة
إن المكان أسمى فأضا وتحاول أن تفرضا
بالانتقال إلى محل آخر ونوى لى بعينها
ولكنى أنظاها بأتى لم أفطن إلى ذلك ، ثم
أحس أنها صارت تصابغنى . وتقبل جانين
آخر الأمر وقد أشبعت نفسها من الرقص
فتمد إلى يدا بليلة قائلة « إلى اللقاء فى غد »
إنها ضائقة بى ولكنى أتهد ولا أجيب
إذ تدعنى . ألا إن الحياة ساعتئذ منى
عظيم . وحسبى من عيشى هذه المنية
فلا حساب لشىء غيرها وها هو ذا يجاننى !
وأسمع نفسى أتكلم ، وتجبل إلى أن
صوتى يأتى من بعيد وقد أمانه سكون عميق
امترج به خفيف لا أدريه . إن هذا ليس

بصوتي ولست أنا التي أنكمم ... إلى أسمع
صوته هو كما لو كان هذا الصوت بداخلي
وإنه لشعور عجيب !

ويحجب النور على الحائط بباب مفاجيء
كما كان يخجب نور الشارع منذ قليل
سياب بفعل المطر ؛ وتقرب مني الجدران
أحيانا بحيث لا أستطيع أن أراها ، وقد
عشيت عيناى كما لو كنت أنظر في قرص
الشمس ، وتبعد عنى الجدران ثم تقترب ،
وتهتز وتتأرجح فتجملنى معها ، وأحس
أنى أسمع صوتا كذلك الذى اسمه الأذن
إذا وضع فوقها إحدى قواقع البحر !

وقد حال بينى وبين الشمبانزا منذ لحظة
قائلا : « حسبك الآن » ؛ ولكنى أمسكت
بكأسى فى إصرار جعله يضحك ويدعنى
أشرب . وبدأ كأنه أب يداعب بنته الصغيرة
وهو إلى جانبها يحمىها وإنه كذلك يحمىنى
لقد شربت منذ لحظات لأنى كنت
حزينة ، وإنى أشرب الآن لأنى سعيدة !
أجل ... ولم لا ؟ إن الأمر أيسر مما
نظن ... إن الليل لن ينتهى أبدا ، وإن
كل شئ يجرى إلى غير نهاية !

ورأيتى ذات شخصيتين . وإنى أنظر
نظرة احتقار إلى شخصيتى الأخرى . وإنى
أحب وجهى فى المرآة وجهى الذى آراه
الليلة ، ولا أكاد أعرف نفسى . إن عيني

تدوان أنتم من حقيقتكما ووسطكما
جوانان مضيئتان كذلك الضوء الذى
ينمكس من الماء وتطرف أهدانى ويتندى نى
كلا ... كلا لست أشعر بنفسى شعورا
أنطرب له . وإنى أحس الشجاعة وهدير
الأعصاب . وأضع يدي مبسوطتين على
المائدة وأثبت فى عيني نظرتى . وهذا مجمع :
فنظرتة هى كل شئ عندى ، وإنها لتضفى
أكثر مما يفعل ساعدان أيا كانا

وأحس الرغبة فى مزيد من الشيباب ؛
كما أحس الرغبة فى التحدث إليه ، وأفتح
له قلبي وأخبره بكل ما كان هناك بوق
روحى . وينظر إلى كما أحس أنه ينظر إلى
حافلة أهدى التذليل ويبدو وجهه مخروبا ،
ولكنه يقول لى فى ثبات ما عرفت مقته منه
« إنك داهية الآن إلى بيتك . يجب أن
تفعل ذلك فى هذه اللحظة . وأرجو أن
تفكرى لى بقاى بعدك هنا لحظات ... من
أستطيع أن أرافقك حتى بيتك ؛ وسوف
أدعو إحدى التادلات هنا لتصحبك ...
أوه ... أرجوك ... أرجوك ... لا تبكى »
وكانت تهمل دموعى وأنا ممسكة بإحدى
يديه قائلة : « لا يمكن أن يكون هذا
صحيحا ... لن تستطيع أن تتركى وأن
تجتمبنى ... كلا ليس هذا بصحيح »

ولم أستطيع أن أتوقف هذه المرة وكانت

تعودت أن أحبها وما ذلك إلا لأنى أعيس
 فى ذريساك ، تلك التى بلغت من البهجة
 ما أحسست معه أنها حقيقة لا خيال . لقد
 جعلتنى أترك حياتى السالفة دون أن تحمل
 عليها حياة أخرى . والآن تريد أن تسقطنى
 من حسابك ! وماذا عساى أصنع بعد ذلك ؟
 ماذا بقى لى ؟ خبرنى ماذا تريد ؟ »

ولم أستطع الضى فى كلامى فقد ارتعد
 ذقنى وغاب الدم من يدى حتى ابيضتا .
 ورأيت منكس الرأس يس يدى فى رفق
 وبطء . وعرفت أنه يريد أن يتكلم فتعلقت
 أنفاسى وأحسست كأن قلبى يوشك أن
 يقف . يا الهى لست أقوى على عذاب بعد
 هذا . رب اجعلنى أحتفظ به ، لست أقوى
 يا الهى على فقدانه الساعة . . .

وحلقت فى عينيه وانتظرت ، وبدأ عليه
 أنه كذلك يتألم ولكن ليس على شا كلنى .
 إنه يبدو مستسلما كما لو أنه اعتاد ذلك .
 وإنى أحس أنه يألم ، ولكنه يرثى لحالى

وأمسكت الجوفة وأخذ الموسيقيون
 يضمون أدواتهم . ونظرت إلى بيان قد
 أغلق فيدا لى كأنه تابوت . وراح النادل
 يضع الكراسى مقبوبة فوق الموائد . وكان
 لا يزال هناك بعض الضوضاء فى حجرة
 صغيرة هى حجرة الشرب ، وقد دخلها
 بعض الزبائن يشربون كؤوسهم الأخيرة
 وبات كل شى هادئا كما هو الحال

تندفع كلانى فى سرعة كسرة دعى إذ
 يتسائل فرحت أقول له « ليس لك من حق
 فى أن تعاملنى هذه المعاملة . . لقد ظالما
 حلت بك . . أجل كثيرا ما فعلت ذلك
 حتى تعلمت أن أحبك ، وأن أعرفك على
 بعد . لقد كنت حياتى بالليل والنهار وإنك
 تعلم ذلك . ونو أنه بدا عليك أنك تستخر
 منى مرة لقضى الأمر بينى وبينك ، ولكنك
 مضيت تتطلع إلى عن قصد كما لو أنك تستمر
 نفس شعورى . . إنى أذكرك بفتاة أخرى ،
 ليس كذلك ؟ ولكن ماذا يعينى من هذا
 إذا كنت تحب صورتها فى ؟ إنى سوف
 تكون لك الفتاة التى تقبلها وسوف تأخذنى
 بين ذراعىك . ولم أحلم بشى غير هذا .
 وإنى لأراك فى كل مكان . وإنه ليحدث
 أحيانا أن أعدو فى الشارع خلف رجل لأنه
 يشبهك وأعرف حينذاك مبلغ حتى . وحين
 أكون فى بيتى أتحدث إليك فى جهر ،
 وحين أغير ثيابى أسأل نفسى ما إذا كانت
 تعجبك . ولقد غيرت طريقتى فى تصفيف
 شعرى فهل لاحظت ذلك ؟ إنى أعرف
 الآن ماذا تحب . إن فتاة غبية مس الحب
 قلبها هى أذكر كثيرا مما تظن وإنك لا تدرى
 أى شئ قدمته لى . ما الاسدقاء ؟ إنى لم
 أعد أحفل بأحد منهم . فالفتيات عب على
 أعصابى ، والفتية مبعث ضيق لى . وإنى
 لأحس نفسى غريبة حتى فى غرفتى التى

لي ما أفعل يا فتاتي المسكينة . ينبغي أن
نخلص كلانا من هذا الوضع فورا ، وبذلك
يترك كل منا صاحبه ... لا تتكلمي ...
استمعي إلي ... يجب أن تقادري هذا المكان
الآن وأعدك ألا أعود إليه ثانية . ولا تسأليني
أن أصحبك إلى بيتك فليست أستطيع ذلك ..
ولست أستطيع من أن تفهمي لماذا ... لقد كنت
أتمنى ذلك جدا لو أنك تعلمين ... »

ورأيت خلال دموعي أن قد ارتسم
على وجهه سمور باليأس قتلت في نفسي :
« يا إلهي ، أريد أن أعلم لماذا ، يجب أن أذهب
الآن في سرعة قبل أن يفسد كل شيء ... »
إني واثقة الآن من أنه قد انتهى كل شيء ؛
وإني ذاعبة وحدي إلى بيتي . ولكنني أحب
أن أعرف لماذا ... لماذا ينتهي كل شيء ؟
لماذا ؟ يجب أن أعرف فلا أدع نفسي غريبة
لحيرة تلازمي طول حياتي ... لماذا يتركني ؟
إنه إذن يحبني ... وعندئذ ألتقي بنفسي
بين يديه صارخة : لماذا ؟ ثم أزداد تعلقا به
وأعود فأصرخ : لماذا ؟

ولا يطيق صبرا بعد هذا ، وأرى في
وجهه مزيجا من اليأس والتهكم ! إنه
بسيط أن يفصح . ياله من موقف مرعب !
ولكن يجب أن أعرف لماذا يتركني . لقد
أيقن أنه لا يستطيع أن يذري دون أن أعرف
لماذا ، ولخير لي أن أقف على الحقيقة ولو كان
فيها ما يذني أذى . وماذا عسى أن يضيرني

كل يوم عادي . وأنا بجانبه أتلقى من الألم
وأنظر أن يتكلم وأحسست أنه إذا جذب
يده من يدي وقعت على الأرض ، أقع كما
لو جثم على صدري كابوس فقد كانت يده
هي الحلقة الوحيدة التي تربطني بالحياة

وأخذ يصب الشهبانبا بيده الطليقة في
كأسينا . أريد بهذا أني صرت محتاجة إليها ؟
لقد وددت أن أصرخ بكل قوتي قائلة « لا »
كما لو كانت هذه الكأس الأخيرة كأسا
مملوءة !

رحمة بي ياربي . لست أطيق هذا العذاب
وإني أحبه .. أحبه بكل قوتي ..

وسمعت نفسي أعزى بمبارات أكررها
مرات كما تفعل البلهاء ، وقد نوترت
أعصابي حتى لقد أيقنت أنها سوف تنحطم
كما ينحطم غصن ميت . وشعرت كما لو
كنت على حافة هاوية بعيدة القرار وإني
موشكة أن أتردى فيها . ياله من هول !
وشد ما عتلاني الرعب ...

لقد كان هذا الصمت مرعبا . وكان
هذا الصمت التعبير في حساب الزمن وكأنه
عمر من الشقاء والألم وكأنه أيدى كالحماقة
نفسها

ويأخذ في الكلام فأرهدف سمعي إلى كلماته ،
وتخرج كلماته من بين شفثيه كلمة كلمة فيقول
« أي طفلي المسكينة : لم يكن بدور بخليدي أن
حالك في مثل هذا السوء . أرجو أن تنفري

فيلتصق كل شيء وأحس بالبرودة تشملني
ويقول لي « هيا بنا نذهب .. »

أجبتني ؟

وأجبه قائلة : « أحبك »

ثم يترلق في بطن .. أجيل يترلق
من متعده ويقف بجاني وأنظر فإذا به من
قصر الساقين بحيث أشعر بالرغبة في أن
أضحك ملء صدقي .. ماهذا ؟ ! وهو على
الرغم من منكبيه المريض وامتلأ بنفسه
الأخ لا يكاد يصل إلى كتفي وهو واقف
بجاني على ساقيه السيختين

وأحس بالرغبة في أن أطلب من القزم الصفح
وأن أظن على حبي إياه وأن أقول شيئاً ،
ولكن ذلك كله يبدو لي سخيفاً ، فليس
نعم ما أقوله ولقد فرغ باني منه فراغاً تاماً ...
ألا ما أعرب هذا الحلم !

وانطلقت من الصالة كأي أعدو دون
أن أنظر إليه ، وأتمله هناك واقفاً على ساقيه
المجيبتين المتضخمتين كأنه لعبة هزلية تمثل
أحد الجند

وأندفع في طريقى ثم أندفع ، وفي خيالي
ذلك الذي رأيت وهو نصف رجل .. وأشعر
بقلبي يفيض حمرة وأحس في جسمي
ديب الثورة ..

ولكن لكل يوم غد بالضرورة ..
وغدى ؟ ترى ماذا يكون الغد ؟

محمد الخفيف

من جرح هين ستير يضاف إلى جراحاتي ؟
وعدت أقول له : خبرني لماذا . أفصح ...
أفصح واتمؤدني فلست أبالي ... ومع ذلك
عاد الخوف يملأ قلبي

وأخيراً قال لي « أريد أن تعلمي
لماذا ؟ » ونظرت إليه فوجدته قد تغير فجأة
حتى لا أكاد أعرفه ، وقد بدا على محياه
مزيج من اليأس والكبرياء . وعاد يقول لي
« إنك تريد أن تفسدي كل شيء ... »
هل عقدت العزم على أن تسمعي ؟ « ثم هز
كفيه . فقلت في نفسي : ربما كان ما أسمعه
خبراً بالرغم من كل شيء »

ويعود فيسألني « أريد أن
تعرف لماذا ؟ »

فصحت به قائلة « نعم » ثم عاد يملأني
الخوف ، ولقد اشتد خوفي حتى لقد انقلب
هذا الخوف شجاعة

« حسن . إذن فانتظري »

وكانت لهجة الأمر في كلمته هذه . ثم
إنه جذبني إليه وأسندني إلى كتفه وأخذ
يقبلي في عنف وأخذت أشعر بقبالاته
تسري في بدني كله وأحس أني جزء منه .
وأبين أني لست الآن ثملة بالكلمات
والشبهانبا ولكن بشيء آخر وعلى صورة
أخرى . إنني أشعر وفي على فمه وهو يبتس
في هذه الحيوية الدافقة ، بتيار الحياة ينبعث
حاراً في أوصالي وفي جسمي كله . ثم يدعني

تَصْفِيَّةٌ حَسْبَابُ

لِلأستاذ نصرى عطا الله

نفسه ففشل ، وكان اليوم شديد الحرارة يرسل زفراته النارية فتقضى المضاجع وتكاد تحبس الأنفاس في الصدور . . . وكلما تقدم النهار ازداد وأفت تبرما وسامة وضيقا بنفسه وبالحياة ، ولم يبق في وسعه إلا أن يعد الدقائق وهي ترحف في بطنه وتثاقل حتى يقبل المساء لينطلق إلى أي مكان تحمله قدماء إليه ، فقد كان كل همه أن يبرح تلك الغرفة التي يتمثل فيها بؤسه وفشله وتحوله . لقد كان ثائرا متقبض النفس ، تزداد نفسه ثورة وانقباضا كلما أجال عينيه في ذلك الأثاث البالي المتداعى الذي تحويه تلك الغرفة القذرة ، بل تلك المقبرة التي تتلاشى فيها سنو عمره يوما بعد يوم دون معنى أو جدوى أو غاية ، كأنها أمطار الصحارى التي نضيج بددا في الرمال ، أو دموع النكالي تسيل غزيرة طيعة ، ولكنها لا ترد فقيدا عزيزا إلى الحياة

وما إن أحس وأفت أن ثائرة النهار قد هدأت قليلا بعيد الغروب ، حتى ارتدى ملابسه الرثة في عجلة ودون اعتناء وخرج

كانت أطياف المساء قد بدأت تشر غلالاتها السمرء على أعطاف المدينة وتمزج نسماتها الندية الوادة بالهواء الركد الثقيل كأنما تسأله بعض ارفق والحنان بعد يوم قاتظ ملتهب الأنفاس

ووقف «رافت» في شرفة غرفته يرقب في ملل وسامة الظلال الطويلة وهي تبته شبتا فتبتا ثم تنمحى في مد الظلام ، ثم أرسل بصره في الأفق البعيد ، وندت عنه زفرة مثقلة بالشجون . . .

لقد مضى زمن حاله لا ينتهى ، وهو ينتظر مغيب الشمس وانخفاض حرارة الجو كي يبارح غرفته تلك وجوها الخانق القايض ، وينطلق هائما في الفضاء الواسع على بنفس شبتا ما عن صدره الملى بالأكدار والحُموم . وكان اليوم يوم عطلته الأسبوعية ، وقد ظل منذ الصباح حبس ذلك الحجر القذر الذي يمش فيه . وقد فكر في الخروج ولكنه لم يستطع أن يتغلب على تحوله وسأمه ، أو يهتدى إلى مكان يرناح للذهاب إليه ، وأخذ يفكر في وسيلة ما يدفع بها الكتابة عن

دون أن يعرف أنه مكانا بقصده ، وفي الطريق
سأل نفسه في مرارة لماذا يعيش ؟ هل هناك
غاية تربطه بالحياة ؟ وهل بقيت لديه آمال ؟
هل هو موفق في حياته أو سعيده ؟ إنه
يعرف الجواب الحزين على هاتيك الأسئلة ،
بل يعرفه منذ أمد طويل ، ما الذي يفريه
إذن بالبقاء في هذه الدنيا ؟ أترام الجبن
وخوف الموت ؟ واعترف لنفسه في مرارة
أنه لم تعد هناك أسباب أخرى تدعوه إلى
التعلق بأذيال هذه الدنيا التي أولته ظهرها
منذ زمن بعيد ، ولو كانت لديه الشجاعة
الكافية لما رضى أن يعيش ليا كل ثم يبكي
على نفسه

ومضى يضرب في الطرقات وهو يفكر
في هذه الحالة التي آلت إليها حياته ..

وكانت هذه الثورات تستبد به من حين
لآخر ، فتملأ قلبه ثورة وألما وتشاؤما فيتمرد
على نفسه وعلى الناس . ويرى الوجود من
خلال منظار قاتم لا يكشف إلا عن المتاعب
والأوجاع ، وقد عرف هو ذلك عن نفسه
منذ أمد بعيد

أما في الماضي عندما كان مضطربا الحيوية
واسع الآمال ، فقد كان يخرج كثيرا عندما
ينجهر قلبه بالثورة والمصيان على الحياة ،
على حياته هو خاصة ! بل كان يقول لنفسه
إن العاصفة لا تنصف إلا الأعصاب الخافتة

ولا تكتسح إلا الأوراق الذابلة المحتضرة
لتتيح للأوراق النضرة فرصة الحياة الشابة
عندما يهل الربيع الجديد . وكانت تلك
الثورات النفسية — على ما تكبده من ألم
وأسجان — تملأ قلبه بشراً واطمئنانا ،
إنها دليل الحياة المتطلعة إلى النور والخير
والجمال ، وكم من مرة — بعد أن شوب إلى
الرضى والسلام بعد تلك الثورات — يجد
نفسه أكثر صفاء ومضاء واحتفالا بالحياة
وبالآمال الغالية التي وهبها حياته . لقد
كانت ثورات الحر الأبى الطموح على عوامل
الضعف والانحلال في نفسه مع ثقته وإيمانه
بقدرته على سحقها ، والتي خلص منها
بقوة الروح وشباب العزم ، وكان إذ يتذكره
ذلك يشمر بنشوة روحية تغمر كيانه كله ،
وسعادة عميقة صافية مثل سعادة المتصوفة
والقديسين تملأ شغاف قلبه

ثم أتى زمان أصبحت فيه هذه
الثورات النفسية الطهرة ذكرى من
الذكريات الأليمة . إن قلبه ما زال يشتر كم
كان يشتر في الماضي ، ونكبتها ثورة الناس
الحزين ، ثورة خائسة يرجح هيبه جانب
الذكريات النعسة ، ورثاء العمر الضائع
والآمال البددة

كان في الماضي كلما تار قلبه عليه واتهمه
بالتهاون والخلول ، وقف أمامه كما يقف

التهم البري أمام القاضي . بفند اتهامات خصومه الواحدة بعد الأخرى ، ويقدم الدليل بعد الدليل على براءته ونقاء نفسه ، وكان يعرف كيف يستنهض كل قوى روحه حتى يواجه الأزمة في شجاعة ويتغلب عليها ، وكان يجد في الاتهامات في عمله وفي تأمل الطبيعة ودراسة الفن السر الذي يتسل نفسه من أدائها ، ويرد عليها حيويتها وبشرها المنقود ويبدل تحيها ألقانا أما الآن فإن قلبه في مأتم ونفسه تضن عليه حتى بالعزاء . إنها تضم أذنيها عن تحييه وصراخه ولا تبه له ، بل إنها لم تعد تأبه لذاتها . لقد سى نفسه في عمار الحادثات حتى تراكم عليها الصدا والخمول ووقدت طعم الحياة

إن الزواجر التي تفرها أفكاره وذكرياته في رأسه تكاد تفقد عقله ، ولقد هرب من عرفته . ولكن أين يهرب من أفكاره ؟ وفكر في أن يترك جو المدينة الضاحك ويرى بعض بعض الوقت على الشاطئ . إن بينه وبين البحر ألفة عميقة وثيقة ، وطالما ذهب إليه وهم منكدر النفس حزين الفؤاد ، فعاد وقد امتلأت نفسه اطمئنانا وسلاها . إنه يفهم لغة الماء وكم سمعها في نورتها واسطغابها ، وفي وداعها وسكونها ، وأحسن يتجاوب أنغامها مع نبضات قلبه ،

وشعر أن في تلك الأنعام والتساييح التي يرتلها البحر دائما سرا يريح القلوب المتعبة ويهيبها العزاء والسلام . وفي طريقه إلى الشاطئ رآها ... وكانت واقفة أمام واجهة محلات الأرباء تأمل المعروضات ... ولم يباغت ولم تذهله المفاجأة برغم السنوات الخمس التي مضت منذ أن افترقا ، إنه يعيش في تلك المدينة منذ ثلاثة أعوام وهو يعرف أنها تعيش في نفس المدينة ، ونزل طوال الأعوام الثلاثة يتوقع أن يراها يوما ما ، في الطريق أو في ملهى من الملاهى أو في أحد المقادير ، وأمل موضع الدهشة أنه لم يرها من قبل ذلك

ووقف بتأملها في هدوء ، وهي لا تحس وجوده ، هي ذى « أمينة » أمينة مرة أخرى ، أمينة التي عشت بقية وحطمت وتركته أدلالا ، إنها ما تزال كعهد شباب دائما منيرة كالنفاضة الناضجة . نرى كم حطمت من قلوب خلال هذه السنوات الخمس .

وهي رقت كتفيه في استحقاق وشه بالخرب وسكن قدميه لم تطير ما ... إنه يتصا خلال تلك السنوات الطويلة التي تقطعها الكثير وليس فيها الكثير وتبدلت ألقاها شخصيته ندلا تماما ... إنه لم يسسها بل ظل يتنى نفسه بأنه حياها يوما ما . إن هانفا

نظراته القاسية قتلت له وهي ما زالت
تأمل عينيه :

— لشد ما تغيرت يارأفت !

فرد عليها في نبرة تفيض تهكما :

ومن ذا الذي لا يتغير يا صديقتي ؟ اأثر من
واثن والحادثات تترك فينا آثارها . .
ولكن شعري لم يبيض بعد

فأجابته وهي تنظر إليه عاتية :

— لم أعن هذا مطلقا !

فقال سواء عنيته أم لم تمنه فبني لأظن أن
تغيري יותר سخطك أو أسفك . لقد
أصبحت أكثر فيها للمدن والحياة والنساء .
وأنت ؟ ألم يتغير شيء في حياتك ؟

فقلت : حياتي ؟ لقد انقلب كل شيء
في حياتي رأسا على عقب . لقد عانيت
كثيرا . . . وأصبحت مثلك — أكثر

فيها للمدن والحياة . . . والرجال

وأردفت بصوت يفيض ألما واستعبارا

وهي تهر رأسها

— لقد دفعت ثمننا غاليا لأننا

فسألها : وماذا فعلت ؟

فأجابت : فعلت أشياء كثيرة ، ألا
تذكر أنك قلت لي مرة في لهجة تنديد إن
هناك أشياء كثيرة ينقصني معرفتها

فقال : نعم أذكر وقد قلت لي في لهجة

ساخرة ، ومن ذا الذي سيعلمني ؟

عنيذا نزل بهتف به طوال تلك السنوات :
إن قصصكم لم تنته بعد

واقترب منها في هدوء حتى حازاها
ووقف يحديق في المروحات التي كانت
تأملها هي منجاهلا وجودها محاولا طول
الوقت أن يجمع ثورة نفسه وينحو آثارها
من وجهه وجبينه . وأدارت هي رأسها في
حركة عريضة فوق بصرها عليه ولما عرفت
أفلتت من بين شفتيها شهقة خافتة وأخذت
تحدق فيه بعينين جامدين ذاهلتين . وهي
لا تكاد تصدق ، وهمست باسمه همسا رقيقا
حالما فادار رأسه نحوها ومد إليها يده مبتسما
قدت يدها نحوه وهي تمنعم بكلمات مضطربة
متقطعة ، ولاحظ هو اضطرابها وأثر المفاجأة
في نفسها ، وهز صوتها المرتعش أوتار قلبه
فقال لها مبتسما :

لقد كنت أحس دائما أننا سنلتقي
مرة أخرى

فأجابت وهي تنظر إليه نظرة ذات معنى
— لا تزال تذكرني إذن

— أذكر ؟ أقسم لك أن صورتك لم
تبرح ذهني لحظة واحدة . إنني لم أسع إلى
مقابلتك ولم أبحث عنك رغم تفكيري
التواصل فيك لأنني كنت واثقا تماما أن
الزمن وحده سيدبر أمر هذا اللقاء

ورفعت عينها إلى وجهه دهشة فراعته

فقلت : نعم لقد سخرت منك ساعتئذ
يا رأفت وبدا عليك أنك تأملت وقلت لي
في مرارة :

سيعملك الزمن

فسألها : وهل كنت نبوءة ؟

فأجابت : نعم تحققت

وأحس من نظراتها الحزينة وبيراتنها
المجهددة الدامعة أن قلبها مثقل بهجوم كثيرة
فهل يسألها : إنها تتكلم دون تحفظ كأن
السنوات الخمس التي مضت منذ اقتراقها
لم تسكن إلا حُلماً وند وبدد في ظلمة الليل
ولم ينل من صداقتها الوثيقة التي نعمد هو
أن يحرقها خنقة ، وتردد لحظة ثم قال لها
في لباقة :

— ليس من حقى أن أسألك عن
كشئ شي كما كنت أفعل في الماضي

فقلت : لا ... إن ذلك حقتك في كل
حين ... إنني في حاجة إلى من أشكو إليه
وقال لنفسه إنها -- كما يبدو -- لم تعد
تلك الماكرة اللعوب التي كانت تقسم وقتها
بين اللهو والعبث بالقابوب ؛ ولكن سرعان
ما هتف به هائف آخر يقول : لا ، لقد
كانت دائماً ناعمة لينة تجيد التمثيل

ومضت فترة صمت قطعنها هي بسؤالها

— إنني مشتاقة إلى أن أعرف عنك كل

شيء : هل تزوجت ؟

فأجاب : أتزوج ؟ حاشا لله !

فسأله في دهشة ولم ؟

فأجاب ساخراً في مرارة : لم ؟ لأنني

أفضل ألا أعيش مخدوعاً ... ألم أقل لك إنني

أصبحت أكثر فهماً للحياة والناس ؟

وأحست وهي تسمع كلماته التي تظفر

مرارة ونقمة كأن سهمها مسموماً قد مرق

إلى قلبها وإن كان قد سرها أنه لم يتزوج .

ورفعت نحوه بصرها غائبة لتقابل عيونه

القاسيتين وقسماته المتجهمة : ولم يكن من

المسير عليها أن تدرك ما يرمى إليه فهي لم

تس بعد أنها خدعته وسخرت من قلبه

وعواطفه في الوقت الذي كانت تظاهرها

فيه بالود والإخلاص ولكن ... ألم تطي ؟

كل هذه السنوات ثورة غضبه ؟ ما باله

يهاجمها هكذا في مرارة ولم تنقص دهاق على

لقاتيها بمد هذا الفراق الطويل ؟ وشعرت

بالخرج ، ونكست رأسها وأخذت تتحدق في

الأرض وهي تقول لنفسها إن جرحه لم

يندمج بعد ، ومرت فترة صمت طويلة

قطعنها بقولها :

— ما أغرب هذا الكلام منك أنت !

يبدو أنك نسيت لقلبك وماضيك

فقال : في الماضي كنت مغفلاً كبيراً ،

أما الآن فقد تعلمت ، ولعلك تعرفين كم كان

التمن فادحاً ، وأنت .. هل نسيت لاضحك ؟

فأجابت : إن التي تحدثك الآن امرأة
عاشت وامتدبت وتعلمت درسا جيدا
فقال : لقد جاء الدرس متأخرا ، ألا
توافقيني ؟

فقلت : نعم ، لا يضيرني أن أعترف أن
الدرس جاء متأخرا

ثم حل الصمت والوجوم بينهما مرة أخرى
وكانت أمينة تعرف طلياع رأفت جيدا
وقد اعتادت في ماضي أيامها أن ترى منه
مثل هذه الثورات النفسية ولكنها لم تتوقع
في هذه المناسبة أن تسمع منه مثل هذا الكلام
وبددت الصمت بقولها :

إنك متعب الليلة ولا أريد أن أضيق
وقتك ... هل يلتقي ثانية ؟
فقال : كي نشأين

وبعد ما سمعت به من امتحان وإساءة
رأت نفسها مسفوعة بكل ما في قلبها من
مشاعر وحساسات إلى استرخائه واستعادة
مكانتها عنده وقالت له في نبرة رقيقة غائبة
وهي تلتقي في غيبه بكل ما في نظراتها من
عطف وحزن

كيف تقول إنك لم تنسني يا رأفت
ثم لحظتني هكذا ؟ هل وقع لك اليوم
« أهاج أعصابك ؟ » إنك ما زلت كما كنت
في الماضي طمعا كبيرا تفرح إلى حد الجنون
وتعصب إلى حد الثورة .. سنلتقي يا رأفت

مرارا لا مرة واحدة ولن تتفرق أبدا .. فقل
لي متى أتذاك أيها الطفل الكبير لأعترف
لك بكل شيء وتعرف لي بكل شيء ؟
وأحس وهو يسمع صوتها العذب بشوكة
وعبوسه بإيلانه شيئا ما ، وانفقا على موعد
يلتقيان فيه ولم ينس وهو يصالحها أن يعتذر
لها اعتذارا ضعيفا عما بدر منه فتقبلت
اعتذاره في رقة وهي تقول :

هذه أول مرة ؟

وافترقا ، وتابع هو سيره حتى وصل إلى
الشاطئ ، وكان رأسه يفتل بالأفكار كالقدر
الفائرة ... ما أقسى القدر حين يريد أن
يسخر أمان ساعة يراها فيها غير هذه
الساعة المشؤمة التي تراكمت فيها على قلبه
كل أسرار حياته ؟

اندهش حين إليه وهو يسمع صوتها يفيض
حنانا ورفقة أن قلبه شرع يتيقن من إساءة
طويل : وكانت قد مضت شهور طويلة ثم
يتحدث خلالها إلى أنى ، ولكنه لم يكن
بتوقع أو يتمنى أن تبعث « أمينة » من
قر الماضي في تلك اللحظة وتسوق معها إلى
فكره وقلبه ذكريات كاسفة حزينة تحطمت
على سخرتها آماله ومستقبله وأوصلته إلى
الحالة التي يكابد مرارتها الآن

عندما لقيها للمرة الأولى كان قلبه خليبا

وراحوا ينثرون حولهما الآفة ويلبوا الأفاصيص
الظلمة : ولم تكد تنقضي أشهر قلائل بعد
ذلك حتى تحول الشتاء الذي نعم به رأفت
فترة قصيرة إلى مرارة وألم ، فقد حدث أن
رأى أمينة أحد كبار الموظفين الذين يعملون
معهما في نفس البناية فشغف بها شغفا بالغا ،
وما أن عرفت ما بينها وبين رأفت من ود حتى
حقد عليه فعمد إلى استغلال نفوذه لمضايقته
وتغبيص عيشه . وأخيرا أفلح في تدبير أمر
نقله إلى إحدى قرى الصعيد النائية ، وهناك
تحالفت على رأفت الوحدة والآلام والأشواق
ولم يكن لديه من عزاء إلا الكتابة إلى
أمينة وانتظار رسائلها

ومضت بضعة أشهر كانت من أمر وأمرى
ما عانى رأفت في حياته . من يدري متى
ينقل من تلك القرية الكئيبة المعبدة عن
الدنيا والجنات ؟ وكيف يعيش من غير
الفتاة التي أحبها ؟ وكيف يستطيع أن
يدبر أموره ويمرض عليها الزواج ؟ وهل
تقبل أن تعيش معه في مثل تلك البناية التي
لم يعرف لها النقى أو تور السكرباء طريقة
إليها بعد ؟ فضلا عن حرها الفظيع في
الصيف وما تعطل به مساكنها الضيقة
الضيقة من حشرات ، هذا إلى انعدام
وسائل التسلية بل انعدام الطعام اللائق
أحيانا ... إنها المنق المختار للأشوار من

بقيا لم نفس أعلافة بعد ولا تعمرة إلا أحلام
الشعراء ، وأخيلتهم الشغافة والشوق إلى
رؤية « الحورية » التي يتفكرها منذ طويل
كي ترت عربة روحه وتخفف من لوحة
أشواقه ؛ وإن هو بدطر في عينها أن القدر
قد استجاب دعواته وحقق أمنيتها ... لقد
كان ظامنا إلى العطف والحنان وقد وهبتهما
له وأحسن للمرة الأولى تلك السعادة الحقة
التي لا تحسها إلا في كنف مخلوق رقيق
يستطيع أن يفهمنا ويستوعب آمالنا
وراحاتنا ويشاركنا آياها

وكان رقيقا مرعف الشعور واسع
الآمال فادفع في حبه اندفاع الواثق المطمئن
ووهبها قلبه وروحه وجماليه موضع سره
ونحوه ومعقد آماله وإيمانه ؛ فكانا لا يلتقيان
أو يراسلان إلا سرا ، فقد كان رأفت حينذاك
موظفا مديرا إحدى المدارس وكانت أمينة
مدرسة بإحدى مدارس المدينة ذاتها ...
كانها عرس تحصى عليه غدواته وديوانه
ولا يحد من يؤس ومسته

وكان في الإجازات اتفقا على التقاء في
العاصمة حيث يذهب كل منهما لزيارة عائلته ،
ولكن سرهما لم يبق في الخفاء طويلا فقد
زاعما في العاصمة بعض أهل المدينة التي
يعملان بها ونقل الخبر إلى هناك ، وسرعان
ما عرف الجميع أمر العلاقة التي تربطهما

الموظفين ، وكل جريرته التي سببت نكته إليها هو أنه أحب وأخلص

واتفق الحبيبان اللذان فرقت بينهما الأيام على أن يحضرا على إجازة في وقت واحد يلتقيا في العاصمة وقد حددت أمينة موعد الإجازة بما يتفق مع ظروفها

وظل رأفت يمشي على أمل اللقاء والحنين يصهر قلبه حتى حل اليوم الموعود وسافر.. وبعد وصوله إلى القاهرة بساعات كان جالسا إلى أمينة على شاطئ النيل يبينها أشواقه وأشجائه وشكوهما ما يعاني من وحشة وآلام

وظلا يلتقيان كل يوم من أيام تلك الإجازة ويقضيان معا ساعات طويلة ولم يكن يضايقيهما إلا قصر مدة إجازته التي لا تتجاوز عشرة أيام

واتفقا على أن يعدا العدة للزواج ولا سيما أنها قد أنبأته أن أحد كبار الضباط قد تقدم لخطبتها فرفضت في إصرار مما أثار سخط أمها عليها ، وعرفت له في صوت حالم أنها تريد هوروجا لبطاينه وإخلاسه وثقتها بها ، وأخبرته أنها تسعى جاهدة لينقل من منفاه البعيد إلى العاصمة نفسها ، وأنها قد استدعت أحد أقاربها من المقيمين في الريف إلى القاهرة لمعاونتها على تحقيق هذه الغاية إذ أنه يتمتع بنفوذ كبير في دوائر الحكومة

وشكر رأفت للقدر - مثلا في شخصية أمينة - عطفه ورعايته ، ولم يعد بهزعه كثيرا شبح القطار الذي سينقله بعد أيام قلائل إلى قرية بعيدة لا يصل إليها في أقل من أربع عشرة ساعة

وبما كان رأفت يسبح من خيالاته أحلام الحناء إذ تدخلت المصادفة وأميت دورا من أدوارها الخالدة التي تقلب بها حياة الناس رأسا على عقب وتغير بها أحيانا وجه التاريخ فقد حدث أن كان يتناول طعام الغدا مع أمينة في مقصف إحدى الحدائق حين شاهدا صديق من أصدقائه القدماء الذين ترجع سلته بهم إلى عهد التلمذة فترك رأفت المائدة وتقدم من صديقه « صلاح » وحياء ناحية حارة ودعاه إلى مشاركته طعامه مع أمينة فاعتذر في رقة وانتحى ناحية أخرى من المقصف بعد أن اتفق مع رأفت على موعد يلتقيان فيه

والتقى الصديقان القدينان وأخذ كل يستفهم الآخر عما لاقى في زمانه ثم عاد صلاح صديقه بالسؤال التالي :

« هل تزوجت ؟ » فأجاب رأفت : كلا

فقال صلاح : أهى صديقة إذن

فقال : « نعم »

وأخذ رأفت يقص على صديقه كيف

عرج أمينة وما لقيه في سبيلها من اضطهاد

ولم تعد لديه رغبة إلا في التخلص منها ، إذ أنه يريد أن تزوج بإحدى بنات بلده ، أما هي فلا زال تحبه ولا زال تطوره رسائلها الواصلة ، كل يوم وكل أملاها أن يزوجهها وهو يسخر من رغبتها ولا يثق بها ولا يحترمها .

ثم أتته صلاح أن كامل قد حضر إلى القاهرة منذ أربعة أيام وأنه التقى بأمنية أكثر من مرة وقد رجعت منه أن يمازجها عند ذوى الأمر على نقلها إلى الاسكندرية لتعيش مع عائلتها ، وعندما افترق الصديقان حدد صلاح موعدا يلتقى فيه رافت وكامل ليتناقشا في غرامهما المشترك .

ومت الغفلة وعرف رافت من أمر أمينة ما لم يكن يعرف ، إن كامل لم يكن ينشد من وراء صلاته بها إلا اللهو والتسلية ، أما هي فقد بهرها غناه وجاهه وليس لها من غاية إلا تحصيل مطامعها بالزواج منه .

وشعر رافت بقلبه يتحول إلى رمال عندما أطلعه على بعض رسائلها إليه فإذا هي منقولة رسالة عن رسائله هو إليها ، تلك الرسائل التي كان يعترضها من قبله اعتصارا ويضربها تحق إحساناته وأقدس عواطفه .

وأيقن رافت أنه كان مغفلا كبير أو بارح العاصمة دون أن يرى أمينة أو يودعها ويعد

ويعي ، وما كان صلاح يسمع يضع كلمات حتى يده عليه الأعمام وأحد بنات جديا وهو يسمع من رافت وعلى شفوية ابتسامة غامضة ، وما كان رافت ينتهي من حديثه حتى قال له صلاح :

— ما دمت تنوى الزواج فيجب أن أخبرك بكل ما عرفنا منها ، إنني لم أر هذه الفتاة قبل اليوم ولكنني أعرف عنها أكثر مما أعرف أنت وإن كنت موقنا أنني لا أعرف كل شيء ، ولكن ما سأقصه عليك يكفي لأن يدرك حقيقة أمرها ... إن هذه الفتاة لم تأت العاصمة من أحلك وحلك ولم تحدد إجازتها وإجازتك بتحضر إرادتها بل تزولا على إرادة شخص آخر ... بل عشيق آخر نعرفه أنت جيدا ولقبته في داري مرارا وهو « كامل » ابن عمي .

ودفع رافت أول الأمر أن يصدق ، ولكن صلاح رجاء أن يسمع القصة إلى نهايتها ، لقد التقى بها كامل مصادفة في أحد دواوين الدرجة الثانية بقطار الصعيد وكانت في طريقها إلى مقر عملها وهو في طريقه إلى بلدته فتعارفا وتحابا ، وكانا يلتقيان كثيرا في بعض البلاد الصعيد حيث لا يمر قهبا أحدا وبها لأن في المصادف معا على أنهما صديقان أو زوجان ، ثم أحسرا أن علاقتهما ترجع إلى أكثر من ستين وقد سئما كامل

يوفق إلى عمل ناله شاق مرته يسد الرمي
وكان عمله الجديد في الاسكندرية . المدينة
التي أنبتت أمينة ...

وهناك عاش أيتها قصة تدهوره التي
بدأها في الصعيد ، وكبله الفقر بقيوده
الحديدية وحصر حياته وتفكيره وقلبه في
نطاق ضيق ليس إلى ناطق أسواره العالية
من سبل! وظل شبح أمينة يلاحقه ويمدبه
ليل نهار

إنه يتوق إلى كل شيء فيها وفي الوقت نفسه
يحقد عليها كل الحقد! ولم تعد لديه أمنية في
الحياة إلا أن تمنحه الأقدار الفرصة لانتقام
منها أضع انتقام أويراها وقد أنزل بها القدر
أقسى وأشدّ الحزن هولا وبشاعة ، وكان كلما
فكر فيما جنته عليه ازداد رغبة وتوقا إلى
الانتقام

ودش مطوبا على نفسه . يختر أحرانه
ويرقب موكب الدنيا والناس بعين السكران
وانتدبم ...

... أين الحب الملهم والآمال السكار؟
انقد كانت ذكرياته العزيرة المالية نومض
أحيانا في رأسه وتهيج مشاعره وإحساساته
فيهونه خموله وتدهوره ؛ ولكن عبثا حاول
أن يخل نفسه من الهوة التي تردى فيها
أو يولد الظلام الذي راكم على قلبه ،
وأجبر أنزل على حكم الواقع واستسلم شيئا

إلى مقر عمله بذلك الإقليم الثاني وهو محطم
النفس حزين القلب مسلوب الأمل بتوزعه
الهم والغیظ والرغبة في الانتقام

وعبثا حاول أن يعزى نفسه أو يسي
مأساته بل كان يزداد على مر الأيام بأسا
ونبرما بالحياة وسخطا على الناس ، وأصبح
عصبي المزاج سي الطبع كثير الهياج والعراك
لأنفه الأسباب ، وتعددت مشاحناته مع
رؤسائه وعوقب أكثر من مرة لإهاته في
عمله ، واستتجالت البلدة الصغيرة أمام عينه
إلى سجن مظلم . إن الأيام والشهور تمر
كالحة متشابهة لاثاني بجديد

ورأي رأيت قدمه تنزق إلى مكان
ينف حتى من التفكير فيه . لقد راح
يبحث عن العزاء المفقود في الخمر والميسر
والعبث ، وأعرض عن صرخات ضميره
ولكنه لم يستطع أن يخنقه فقد كان يشعر
أنه يتدهور فيملي قلبه ألما وتدما ، ولكن
ماذا يستطيع أن يفعل والسأم واليأس يكادان
يقتلاه

وضاق به رؤساؤه بعد أن تعددت
التحقيقات منه ، وثبت أنه موظف مشاغب
سي السيرة ، وما لبث أن انتهى به الأمر
إلى الفصل

ومرت شهور طويلة لتي فيها رافت
كثيرا من الكون والتشرد والعذاب قبل أن

سبيلقى أمينة يوماً ما ويبتقم منها ... ولم
تكذب الأيام ظنه فقد ساقها القدر إليه في
أصيل ذلك اليوم الحار

لقد أنقضت رؤيته لها كل ما كان يخزنه
في نفسه من أحاسيس وانفعالات، وممرت
صور حياته كلها أمام عينيه وهو يتجول على
الشاطئ ويستمتع إلى صوت الأمواج وهي
ترنم بالصخور كأنها أنات جبار مكمل
بالقيود والأغلال

نعم ، إنه سيبتقم ويشقى عليه

ولما التقيا للمرة الثانية قادها رأت إلى
غرفته تحت ستار الغلام ، وكان قد أعد
العدة لمأدبة الجسد التي ظن يشتهيها ويحلم بها
منذ سنوات ، إنه سيحقق مطمحها عزيزاً ظل
يراد حبيباً له طوال السنوات الخمس وفي
الوقت نفسه يتقم من تلك التي غدرت بقلبه
بأن يفكر بها ويعاملها كالأحدى المنبوذات
المأجورات ثم يلتقي بها في عرض الطريق
وتدركت هي نيانه حين نحت زجاجات
الخمر ، ولحبت الرفيات يتراقص في عيونه
ورفضت أن تتساول قطرة واحدة من
الشراب واعتذرت بأن بنتها لا تتحملها ،
وجلست ترقبه وهو يشرب في شراة وكر
ملاعنه تنى بمؤه وبأسه وانكسارده ،
ومرت فترة صمت وهو يشرب وهي تحيل

فشيئا إلى اليأس ولم يعد له من مطمح إلا أن
ينسى الماضي كله بما فيه من آمال وآلام
وجروح ، ولكن كيف السبيل إلى ذلك
ومكيف أمينة لا يغيب عنه والحمد عليها ينمو
في قلبه على مر الأيام ؟

والتمس شفاء نفسه في اللهو والحب
الرخيص بالقدر الذي تتيحه له موارده
الضيقة ، وبذل كل ما يستطيع ليخدم كل
مشاعره وإحساساته التي كانت ترهقه وتثور
عليه وتصفه بالإسفاف والفضة والهمون ،
وعاش ليسخر من نفسه ومن الحياة
وضجيجها الكاذب وما ترخر به من أنواع
الشقاء الذي لا معنى له ولا جدوى ، وتساقط
لديه الأنقياء ، والسعداء ، النعمون والمحرورون
... إنهم جميعاً محدوعون فرض عليهم
الاستمرار في تمثيل مبراة الحياة وأحليل عسف
القدر وبطشه راضين أو كارهين

ومضت الأيام وهو يحمل على كتفيه عبء
الحياة كارهها ساخطاً ، وبفكر في الموت
تفكير الراحب الشقي ، ولم ترده تجاربه في
عالم اللهو إلا سخطاً واحتقاراً للمرأة ، ورسخ
في ذهنه أنها مخلوق غادر ميت الضمير سائح
الفضيلة ، ولا هم لها إلا إرضاء ترونها وإشباع
شهواتها ، وكان إذا سمع عن خيانة إحداهن
قال وهو يزفر : كاذبة كذلك
وهكذا عاش وظل يبنى نفسه دائماً أنه

في الغرفة الخرجية نظرة ألم ، إنشفاق وأدركت
من هيئة الغرفة ما يعانیه الرجل الذي كان
بعد المدة منذ خمس سنوات فقط للحياة
الطبيعية الزاخرة بالأمال السكبار وقالت له
في آني بالغ :

— رأيت ... إنني لم أكن أتصور ...
بتأطعها قليلا : تصوري كل شيء
ولا تتحدثي كالمصغرات الساذجات
مسأله : ولكن كيف ترضي لنفسك
كل هذا ؟

ولم يستطع وهو يسمعها تتحدث
كإحدى البريئات أن يكتم ثورة نفسه ، إنها
تجاهل أنها الشيطان الاثيم الذي قوض
دعائم حياته وتكلم كإحدى القديسات
اللاوآئي يؤلمهن مرأى الشر فاندفع يقول لها
في حدة :

— بل كيف رضيت أنت كل هذا ...
هل يمكنك أن تنكري أنك أنت وحدك
السبب في كل ... أعاني ؟ هل نسيت فأقص
عليك القصة من جديد ؟ لاشك أنك نسيت
ما أوقعته بي وبشراتي من بعدى ، ولكن
ما فائدة تبش ... ضي الآن ؟ إنني لا أؤمنك
على كل حال فالحياة خدعة كبيرة

فقال : لا يراحت إنها ليست خدعة كبيرة
مسأله : ماذا تكون إذن ؟ الإخلاص
والوفا ، ورعاية المهور ؟

فأجبت : إنها الإخلاص والوفا
وأطلق رأيت ضحكة ساخرة مجلجلة
وهو يقول :

... متى اكتشفت هذا الاكتشاف
الجديد ؟
فقال : لا تسخر مني بأرأيت وكذا
ما عانيت ولا تظن أن من السهل أن
أكتشف عن جراح قلبي لكل إنسان ألقاه ...
انقد لا قيت في هذه السنوات الخمس كثيرا
من المحن والمصائب

ومضت أمينة تقص عليه قصة حياتها
بعد أن أبعدت عنه ما تبقى لديه من الحمر
وحالت بينه وبين الإسراف في الشراب ...
إنها لا تنكر أنها كانت غريرة طائشة لعبت
وعيثت بكثير من القلوب واستغلت سذاجة
الكثيرين ، ولكن بعد أن كابدت كثيرا ...
إن كل من عرفت من الرجال كان يمنيها
أطيب الأمانى ويصب في أذنها معسول
الحديث في حين أنه كان لا يريد على أن يلهو
ويستمتع ، وتعلمت هي منهم أن تلهو وتستمتع ،
وأشرف هو في أفق حياتها ثم غرب فجأة
عندما قطع سلته بها يتحضر لإرادته ... وحتى
ذلك حين لم تكن قد أدركت أنها ظالمة
وامتدحت عواطفه ... فقد كانت تظنه
واحدا منهم

ومرت بها أسفات من التجارب في دنيا

وعاشت وحدها في عزلة تكاد تكون تامة ،
وبرغم ذلك لم تسلم من الريب والظنون
وشبهالك الشائعين المغامرين ، وأدركت في كثير
من المرات أن سيرتها في الأوساط التي مرقها
لا يحتاج إليها أحد .

وبدأت تطيق تخيلاتها الموحشة ووجدتها
الكشبية والتي على آمالها الضائعة ومستقبلها
الغامض الممعد .

وكان لا يزعجها إلا التفكير في المستقبل .
هل ستقضي بقية العمر وحدها لا هل تنال
في دنيا الرجال وتصبح أداة رخيصة لتحقيق
مطالبهم ورغباتهم ؟ لا ، لقد سئمت حياة
المغامرات وسئمت التغيير والتبديل وهكرت
كثيرا حتى أضناها الفكر فم نجد أحلى
من البيت الهادي الذي يظله السلام
والاستقرار ، وتيقظت في قلبها غرائز الزوجة
والأم وأصبحت تغار من أولئك اللواتي
من الله عليهن بالشرير المخلص الأمين
والنسل الطيب والبيت الهادي الذي يفيض
أعنا وسلاما . ولكن أتى لها تحقيق آمالها
وعاشت تسمى تحت سيادة النعم والألم
وتحاسب نفسها حسابا عسيرا على ما جنته
يداتها . قد شربت من نفس الكأس
التي شربت منها الناس .

ومررت به أنها لم تنزل إلى أي حد
جئت على نفسها وأي ثروة غالية يدهنها

الرجال ثم تزوجت واستقلت من عملها ...
ويزواجها بدأت الأيام السود إذ لم يكديت على
عنى زوجها ومثلهما إلى حتى استولى زوجها
على قلبها وكل ما تدور من دنيا بحجة
استثمار في أعمال كثيرة ندر أرباحها طائلة ،
ولم تلت أن اكتشفت خديعتها وعرفت أنه
يؤرق بغير قصد وقته بين الخمر والنساء
وموائد التيسر .

بدأ الضيق بينهما أعنف وأعنى ما يكون
عندما حاول زوجها أن يبيع بعض أثاث
مسكنها وكانت هي تملكه كله ! واستمرت
الاضاحكات بينهما فترة من الزمن . ولما أدرك
هو أنه قد سلها كل ما يمكنه سلها اختفى
وعبثا حاولت أن تعثره على أثر

وتزوجت ثانية بعد شهر طويل من
الأمي والوحدة والحرمان ، ولم يكن زواجها
الثاني بأبعد من الأول . وكان الزوج الجديد
حفا عظيم الطبع وحشي الخلق يخصص عليها
حركاتها وسكناتها ويحاربها على كل ما يريده
أشد الحسب ، وكان يقيق الوارد محدود
السكراب ولم يستطع أبدا أن يتحمل شطط
العيش وعيرة الزوج المشكك فافسدت عنه
ولجأت إلى أبيها لكنه لم يرحب بها كثيرا
والسند بها السند على الرجال ففسدت
عن الزوج وزاغت تبحث عن عمل جديد
فلما وقعت عادت إلى مسكنها الوحش

بل لم أنجس مطلقاً أن تقدم أنت عليه . أتيت لأحدث رأفت الذي عاش في خيالي طوال هذه السنوات مثلاً للنبل والتعفف . انتظر مني رسالة أحدد لك فيها موعد اللقاء التالي

وتركته وولت هاربة كالغزال النائم وفضي رأفت عدة ساعات بعد رحيلها وهو جامد كأنه تمثال من الحجر ولكن قلبه كان كالبركان الثائر الغاضب . وفضي بقية الليل في فرائسه دون أن يغمض له جفن وكان فكره كالغارب الخائر في عرض البحر يتقاذف الأمواج الثائرة المضطربة بين شواطئ الماضي العاصف والحاضر الطرب والمستقبل الغامض المجهول . . . إن أمينة لم تعد في نظره إلا عظام امرأة لم تلجأ إليه إلا بعد أن فشلت في حياتها كل الفشل . ومع ذلك فهي تحسن عليه . ولكن من الذي دفعه في طريق الخاوية ؟ من الذي حطم قلبه وبشر آمله ؟ أليست هي ؟ ومرو أخرى قال لنفسه إنه سيحطمها تحطيماً ويرفع منها الحياة والأحياء . . . ومع ذلك فقد ظل حزيناً قلماً يفكر في أمرها تفكيراً يخرج فيه الحزن والشر ، اليأس والأمل ، القسوة والإنفاق ، وإن كان قد شعر بقلبه يتنفس من جديد انطلاقاً الحياة ، ورأى زهور الأمل تنبت وتزف على حوافي البحري الجاف

حين خدعته وعاملته كلباتين ودفعته إلى الفرار من بين يديها . إنها لم تدرك ذلك إلا أخيراً وبعد أن نهلت من الدل والهوان حتى ارتوت وعرفت معادن النفوس وثافت إلى الحياة المستقرة النظيفة

قصت أمينة قصتها في صوت بفيض نائراً وحرارة وندماً ، واستمع رأفت إليها في سكون ثم رجع رأسه الذي ظل منكسا طوال حديثها وقال :

— والآن ؟

وكانت بصرته تفيض مرارة وتشغياً ، ولم يفت أمينة ذلك ولكنها تجاهلته وقالت مبتسمة :

— والآن . . . كبر القدر الذي جعمنا ثمانية .

فقال وهو راكع :

وما هئذ ذلك ؟

فقلت وهي تلتقي عليه نظره رقيقة عاتية ؟

— هل قصت كل أمل في الحياة ؟

فقال : بل فقدت كل إيماني بالحياة . . .

بنا من الهالكين

وأضاف وهو يقترب منها باسماً

دعينا من هذا الحديث الآن . . .

وحذى الحياة كما هي كما أفعل أنا

وسدت أمتة كل محاولاته للاقترب

منها ، واتفتت واقفة وهي تقول :

لا لا يارأفت . . . إنني لم آت لثقل هذا

الذي تدفقت فيه منذ أعوام عواطفهما
وأمانيهما المشتركة

وظل في خبرته حتى وسلته منها رسالة
تقول فيها « أنتم الرجال تعلموننا كثيرا
حتى تهملونا بالفجور والقدر والحياة
واقبل الأهواء ، ولو أنهم همونا بالضعف
والجهل وقلة الخبرة لكانتم أقرب إلى
الحق والنواقم

أنتم — وأنا لا أعنيك أنت شخصيا
ولو كنت أعنيك لما كتبت لك هذا
الكتاب — فشاركونا في الجرم منذ اللحظة
الأولى وفي الغم حتى اللحظة الأخيرة ،
تهدون لنا الطريق وتحرضونا على سلوكه
في أول لحظة تبدو فيها من أي واحدة منا
بارقة رضا وشالون بغيتكم ثم تدعون إلى
غير عودة مخلفين لنا الندم والذل
والهوان ...

لماذا بالله ؟ ألم تسأل نفسك هذا السؤال ؟
أنت الرقيق القلب المتأول الذي يفهم معنى
العفا ، والإخلاص ، لآنك أنك فعلت ،
كيف أجبت نفسك إذن ؟ إذا كنت قد أحببتنا
إجابة صادقة صريحة ترقى الله والناس
فلأنك أنتك ستدعونا إلى ما اقترفت في حقائق
من إنهم . لقد كنت ضالة ولم يكن الذنب
ذنبى ، وسبحان الذي لا يضل ولا يخطئ .
والذي يقبل التوبة

إن التي تكتب إليك امرأة لم تلق في
حياتها ضاحكا أو شفيقا ، ولم تجد من العناية
والتوجيه ما يفتح عينيها على حقائق الحياة
بل ما يسلطها إلى الطيش والحماقة . . امرأة لم
يعلمها إلا الألم وحده ولم تفتح عينيها إلا
التجارب المرة القاسية ، فأستجلفك بالله
ألا تسميني خائنة بل قل إنني كنت ضالعة
أو ضالعة . لقد غررت في الرجل ودفعوا إلى
في الطريق الشائك الوعر وخذعوني مرات
ومنهم تعلمت اللهو والخداع . لقد عشت
حياتي كلها في الظلام وكنت أنت الكوكب
الوحيد الذي أنشق في أفق حياتي ثم غاب
قبل أن أظن إليه . فلما قطعت وأدركت
نفت في النور وإليك إذ لم يكن هناك من
يستطيع أن يبدد ظلام قلبي ويهديني إلى النور
إلا أنت . استفتت إليك كإشتاق الأعمى إلى
الإبصار ، وتذكرت مسلكي مما كنت قد قدمت
وقامت وسمعت أنني كنت ضالة . لقد أحببتك
رغم إرادتي في الوقت الذي انصرفت عني
لأنك أنت وحدك علمتني قدسية الحب
وفتحت قلبي للمرة الأولى وملائته عواطف
حية صادقة وعلمتني سلم أكني أعلم ، ولولاك
لمست مؤمنة أن اللهو والغش والخداع هو
الحب ولقيت فتنة بحياتي القافية السكرة ،
ولكنني أعيش الآن معذبة لأنني أدركت
ما هو الحب ولا أستطيع الحصول عليه ...

والفصل لك أو الذئب ذئبتك

وقد مرت من عشرات التجارب عدد أن
جائدي ، وكانت كل تجربة تذكرني بك من
جديد وتريدني حيا واحتراما لك وتقديسا
لسادتك ، وفشل كل أمل أن أعثر عليك يوما
كأنني بين يديك بعدما وأسفاه ، فلم ألق أبواب
عليك في وجهي أيها العزيز ؟ إنني الآن
مرأة صهرتها وظهرتها لتجارب ولا أنت
إلى ماضيها بصدقة ، وكلاهما زال في ربيع
شبابه فلا تياس ولا تشام »

وحدثت في رسالتها مكانا وموعدا
للقاء قريب

والثقة في بقعة هادئة من الشاطئ ،
وفي هذه المرة انهارت مقاومة رافت تماما
وأخذ يقص عليها كل ما حدث له منذ
اللحظة التي قرر فيها أن يقاطعها ، ورعبته
الطاعية في الانتقام والتشفي منها ، واستمعت
هي صامتة ووجهها يطق بما تحس من ألم
واندماء وبعد أن فرغ من حديثه أخذت هي
تقص عليه ما لاقى في دنيا الرجال من عن
ومأس خسرت منها كل شيء ولم تكسب
إلا المرء والدرس ، وكيف بدلت أفكارها
وعايشها ، وشرحت له ظروف حياتها الحاضرة
ودلت له أنها استطاع أن تعيش عيشة المرأة
العامة والمستهجرة ولكنها لا تريد ... إنها
تطمح في لون آخر من الحياة البسيطة يتوفر

فيه الخفاء الساذج والرضا والسلام فلم
لا يسألها هذه الحياة الرجوة :

ولما يتعلمان ويتشاوران حتى تتسهم
الليل . بها تدرك تماما ما يعاينه من عمر
وقته ، لكنها ستشاركه جهاد الحياة . إنها
ستدعى بؤس عملها وعنف إيردها إلى
إيراده وسيتقبل هو إلى مسكنها الكامل
الآن لتعيشا معا في ظل زوج موفو هي .
إنها ستمنحه دنياه قلبها وإخلاصها كل
حياتها وفي الوقت نفسه يبحث هو عن عمر
جديد يتفق مع كفايته ومستواه

ولم يكذب رافت بصدق وهو يستمع إلى
حديثها تنها هي نفس الفتاة التي خدعته
وأسلمته إلى طريق التحذار وظلت طوال
السنين صدقا لخطئه واحتقاره في حين كان
هو مطمئنا شواقيا وموضع اعزازها وكبارها ،
وأحس أنها ليست حطام امرأة كما قال
لنعمه عندما قصت عليه قصتها ، وفاق إلى
أن يكفر عن بياته السببة التي ظل يمتدنها
في قلبه وبغضها من حقده عدة سنوات

والمرء في تلك الليلة بعد أن اتفقا . وكان
رأيت راسه وهو يشد على يدها في حرارة
أنه إنسان جديد نجوى في عروقه دماء
جديدة تنده بالنشاط والحيوية والعزم
والآمال الكبيرة ، وخيل إليه أن كل ما فاسده
من آلام وهوان لم يكن إلا حياء من عجايب

المربيت

الفنانة المصرية
يوسف لانت دعي

بسمة قالية « ماذا تقولين ؟ »
قالت : « إن جد مسرورة لأنت لا ترائين
مستيقظة فإن لدى ما أود أن أقوله لك
ولم يكن هناك جواب بالألفاظ ، وإنما
تسمع صخب من الفراش الآخر ، وكانت
الفتاة الكبرى قد جلست منتظرة وعينها
تتألقان في الضوء الوامع
قالت السمرى : انظري هنا فهذا ما أريد أن
أخبرك به ولكن قبل كل شيء هل لحظت أحداً

عليها وتعلم به ليل نهار
وتزوجا بعد أمد قصير
وبرت أمينة بوعدها وعيودها ، وعاونا
على الحياة الطيبة وعاشا معاً كطفلين
ساذجين قرحين بالحياة ، واستطاع رأفت أن
يجد عملاً جديداً مريحاً ومربحاً ، وما لبثت
أمينة أن استقالت من عملها لتتوفر على
شؤون منزلها ، وبعد عام من زواجهما رزقا
فتاة أطلقا عليها الاسم الذي طاف به
أمينة منذ أن شعرت بأعراض الحمل وهو
« إنصاف » نصرى عطا الله

لم يكن بالحجرة سوى الفنانين ، وقد
أطفأت الأنوار وديم الظلام سوى بعض
من الضوء كان يبعث من الفراشين .
وهذهأت أنفاس الفنانين حتى كأن يظن
أنهما فاشقان
ويرى همس متعثر رقيق من أحد
الفراشين ، وكان يحدث هو الفتاة التي
لمت الثانية عشرة
فسألها أحبها حتى كانت تكبرها

بفتاتين هنئتين
وكان يفكر في حياته طوال السنوات
الخمس الماضية وما الحذر إليه من تدهور
وإسفاف فيحس كأنه يفكر في أمر شخص
غريب لا يكاد يمت إليه إلا بأوهى الصلات ،
وانصرف تفكيره كله إلى المستقبل الذي
يريد أن يحقق في أيامه ما يعوضه من
الماضي الصائم
والتيما بعد ذلك مرات وكان يحدثها
في بساطته القديمة الخبية عما يأمل ويتعنى
فتجيبه بأن أمانيه وآماله هي ما يخفق به

وظلت لحظة أنها غير موجودة بالحجرة ،
وبرغم سوء الحجرة لم أستطع رؤيتها ، وفجأة
تمسكتني الدهشة ، فقد سمعت نحيبا ورأيتها
رافدة فوق فراشها غلايسها وقد أخفت
رأسها بين الوسائد ، وكانت تبكي بكاء
شديدا جعلني أستنصر الألم ، ولكنها
لم تلحظني ، ونسلت من الحجرة وأقفلت
الباب رفقا وهون ولبثت لحظة في خارج
الحجرة لأنني كدت أعجز عن المشي ، وظللت
أسمع نحيبها من خلال الباب ، ثم عدت أدراجي
ثم لاذت الفتانان بالصمت لحظة ، ثم قات
الكبرى متهددة « بالها من مسكينة ! »

وعادتا كاتهما إلى الصمت

وواصلت الصغرى الحديث قائلة : « إني
في دهشة من أمرها ولست أدري ما الذي
أبكاها ، ولم تحدث مشاجرة أخيرا لأن
والدته قد كفت عن تعنيفها كما كانت تفعل
دائما ، وإني واثقة من أننا لم نعبها فإ
سب بكنها ؟ »

فقلت الكبرى « أحسبني أستطيع أن
أحزر ذلك »

فقلت الصغرى :

حسن ، اذكرى ما عندك إذا !
فتربت الكبرى في الرد ، ولكنها قالت
أخيرا « أعتقد أنها تحب »

ففرقت الفتاة الصغرى وقالت « تحب ؟

شيدا بشير الضحك في سلوك الأيسة من ؟
فقلت الكبرى بعد قليل من الصمت
« من لقد لحظت شيئا ، ولكنني لا أدري
ما هو ، فهي أقل تدقيقا مما كنت ، فمنذ
يومين وأنا لا أدري آخرينات المظلمة ، ومع
ذلك لم توجه لي أي لوم . ولست أدري ماذا
حدث ، ولكنها فيما يبدو أصبحت لا تمنى
بنا ، فهي تقعد منفردة بنفسها ولا تشاركنا
في ألعابنا كما كانت تفعل من قبل

فأجابت الصغرى : أحسبها حزينة ، وهي
تحاول إخفاء حزنها ، وهي لا تعترف على
البيان الآن »

ومرت فترة سكوت ، واستأنفت بعدها
الفتاة الكبرى الحديث قائلة « لقد ذكرت
أن لديك شيئا تودين أن نقضي إلى به »
فقلت الصغرى : نعم ، ولكن عليك
أن تحتفظي به لنفسك ولا تقولي عنه كلمة
واحدة لوالدتنا أو لصديقتك لوني »

فأجابت الكبرى في غضب « إني
بخطيئة الحال لا أفعل ذلك ، فاسترسل في
حديثك

فالت الصغرى :

« بعد أن أرينا إلى الفراش أدركت فجأة
أنني لم أقل للأيسة ما نعى مساء ، ولم أتردد
في لمس جذائي واسترقت الخطي إلى حجرتها
قاصدة مفاجئتها ، ولذا فتحت الباب بهدوء ،

فأجابت الكبرى : « بطبيعة الحال أقصد ، أوهو يحجب ، في خلال السنوات الثلاث التي قضاهما معنا لم يشارككنا في زهرتنا إلا منذ شهرين أو ثلاثة أشهر ، والآن لا يفوته أن يصحبنا يوماً من الأيام ، وهو لم يكذب بلحظنا إلا بعد قدوم الأنسة مان ، وهو الآن ما يفك بحوم حولنا ، وفي كل مرة يخرج بصادفه في الميدان أو في الحدائق أو في أي مكان آخر نصحبنا إليه الأنسة مان ، وأنا واثقة أنك لحظت ذلك ؟ »

فأجابت الصغرى « نعم ، لحظته بالضرورة ولكنني ظننت ... ولم تم جملتها .

فألت أختها : أم إني لم أبدأ أن أشغل بالي بالموضوع في أول الأمر ، ولكنني بعد حين تأكدت أنه يختلف سبباً .

وسرعان ما طويبا أخذت الفتاتان تقليان فيه الأمر على وجوهه . وكانت الصغرى هي التي بدأت بالخروج من الصمت وتحدثت الخديث واللة :

« ولكن هذا كان الأمر كذلك فلم يكن إياه مستهام به ، وأنا دائماً أظن أنه مما يسهل الإنسان أن يكون محبوباً .

فألت الكبرى في حين ورقة : « إني أرى ذلك ، ولا أستطيع أن أتبين الأمر » ثم أرسلت هذه الكلمات في نبرة بحالطها

النوم « ياخذ من مسكنة هذه الأنسة مان ! » وأبقي حديثهما في تلك الليلة ولم تنبأ إلى هذا الحديث في الصباح ، ولكن كان واحده منهما كانت تعلم أن أفكار الأخرى كثيرة الدوران حول هذا الموضوع ، ولم تعتمد إحداها النظر في عين الأخرى للتوضيح ذلك ، ولكنهما كانتا يتبادلان النظرات حينما تقع عليهما على المربية ، وكانتا على الطعام تراقبان ابن عمهما أو نحو كانه شخص غريب ، ولم توجهتا إليه حديثاً ، ولكنهما كانتا تحتلسان النظر إليه وتحاولان أن تكشف هل هناك تفاهم خفي بينه وبين الأنسة من . ولم تحفلا بأسباب التسلية لأنهما كانتا لا تفكران في شيء سوى هذا اللغز المدام . وفي المساء سألت إحداها الأخرى وهي تحاول أن تظاهر بعدم الاكتراث :

« لم ألاحظ شيئاً جديداً اليوم ! »

فأجابت سبباً « باختصار » كلا .

وإذ وقع سبباً كانتا تحتلسان الخوض في الموضوع . وكان الحال على هذا المتوال عدة أيام ، وكانت الفتاتان لا تكف عن الملاحظة في صمت وقد استولى عليهما التقاطع واستغل البال . ولكنهما كانتا يشعان بأنهما قريشان من كشف سر عجب وأخيراً لحظت الفتاة الصغرى في أثناء

المساء أن المريية أشارت إلى أونو إشارة لا يكاد يدركها أحد ، وأنه أحق رأسه ردا على هذه الإشارة ، فانتفضت من الانفعال وركلت أختها ركلة خفيفة تحت غطاء المائدة ، فنظارت الكبرى إليها مستفسرة فردت عليها بنظرة ذات معنى . وظلت الفتاتان على أحر من الجمر حتى انتهى تناول الطعام . وفي عقب انتهائه قالت المريية للفتاتين :

« اذهبا إلى حجرة الدراسة والبحث عن عمل تؤديانه فإني أشعر بعساع وسأستلقي على الفراش نصف ساعة »

وفي اللحظة التي وجدت الفتاتان أمهما في عزلة انفجرت الصغرى قائلة : « سترين إن أونو ذاهب إلى غرفتي ! »

فقالت الكبرى « بالطبع ، ومن أجل ذلك أرسلتنا إلى هنا »

فقالت أختها : « عينا أن نسمع خارج الباب »

فأجابت الكبرى « ولكن افرضي أن أحداً يجي »

فسألها أختها « من ؟ »

فأجابتها قائلة : « والدة »

فقالت الصغرى متفردة « سيكون ذلك أمراً فظيماً »

« أسمع »

فأظهرت الصغرى استياءها وقالت : « ولكنك في هذه الحالة لا تكريين لي كل شيء »

وقالت أختها « لا تخافي »

فقالت الصغرى : « أنت جديفة »

وقالت الكبرى : « أقسم لك أمر حادة وعليك أن تسمعي إذا سمعت صوت قادم »

وانظرتا في المرز وقلباهما يخفقان من الانفعال ، فإذا حدث لا سمحت وقع أقدم فاستلتا إلى حجرة الدراسة المظلمة ، وقد كان القادم أونو نفسه ، وقد قصد حجرة الآلة

من وفتح الباب من وراءه . واسطلمت الفتاة الكبرى إلى الوضع الذي اختارته

وتسمعت من ثقب الباب وهي لا تكاد تتحرى على التنفس . وأحسبت الأخرى

نظارت إليها نظرات لم على الحسد . ودفعها حب الاستطلاع إلى المضي حيثما نحو الباب :

ولكن أختها أصدرت لها وأشار إليها في غضب لترجع إلى مكانها وتراقب في أحر المرز . وظلتا منتظرتين بضع دقائق بدت

للفتاة الصغرى كأنها الأبدية . وكانت تشعر بنحي القلق تتمشي في بدنها وكأنها كانت واقفة على مثل حجر الفضي . وصغرية

استطاعت أن تكف غرب دموعها لأن أختها كانت تسمع كل شيء ، وأخيراً سمعت

صوتاً فاستولى عليها الخوف وسعلت؛ وهربت الفتاتان إلى حجرة الدراسة. ومرت لحظة قبل أن يوانيهما النفس لتتحدثا، وقالت الصغرى غاضبة:

«حدثيني إذن عن كل ما حدث»

فبدأت علائم الحيرة على وجه الفتاة الكبرى وقالت كأنها تخاطب نفسها:

«إني لا أفهم»

فقالت الصغرى: «ماذا؟»

فأجابتها أختها «إنه شيء يتجاوز المألوف»
فقالت الصغرى غاضبة: «ماذا؟ ماذا؟»
فبدأت الكبرى بمجهوداً وهي تقول:

«لقد كان شيئاً يتجاوز المألوف ويختلف كل الاختلاف عما كنت أتوقعه، وأظن أنه حينما دخل الحجرة أراد أن يطوقها بدراعيه أو أن يقبلها لأنها قالت له: دع ذلك الآن لأن لدي شيئاً خطيراً أريد أن أخبرك به. ولم أستطع أن أرى شيئاً لأن المفتاح كان معترفاً، ولكنني كنت أستطيع السمع جيداً، وسألها أونو في زبرة لم أسمها منه قط قبل ذلك قائلاً: ما الخبر؟ وأنت يا أختي تعرفين كيف يتحدث في العادة بصوت عال وفي قفحة، ولكنني واثقة من أنه كان خائماً، ولا بد أنها لحظت أنه يتخذهما لأن كل ما داته هو: أظن أنك تعرف ما فيه الكفاية؟ فقال: أبدأ. فقالت

في صوت خزين: إذا كان الأمر كذلك فلماذا تنأيت عني؟ ففي خلال أسبوع لم أكد أسمع منك كلمة، وأراك تتجنبني جهد طائفاً، وقد ابتعدت عن الفتاتين وأمسكت عن لقائنا في الحديقة، فهل نبذت شجأة الاهتمام بي والعناية بأمرى؟ أه إنك تعلم جيداً لماذا نترجع إلى الوراء هكذا... فظل صامتاً لحظة ثم قال: إنك لا ريب تعرفين اقتراب ميعاد الامتحان، وليس لدى وقت أضيعه، فإذا أستطيع أن أفعل؟ وأخذت تبكي وقالت له في رقة وهي تنسج:

قل الحق يا أوتو؛ ما الذي صنعت حتى تعاملني هذه المعاملة؟ إني لم أطلبك بشيء، ولكن يزم أن نتحدث في صراحة، وملاحظك تظهر لي بوضوح أنك تعلم كل شيء.

عن ...

وأخذت الفتاة تتغصص ولم تستطع أن تتم جملتها

فقبرت منها أختها وسألها:

كل شيء عماذا؟

فقالت: كل شيء عن الطفل!

فقاطعتها الصغرى قائلة: طافلهما! طفل!

هذا مستحيل

فقالت الكبرى: هذا ما قاله

فقالت أختها: لا يمكن أن تكوني قد

أحصلت السمع

فأجابت الكبرى : ولكني سمعت جيداً ،
وإني متأكدة مما سمعت ، وقد أعاد
هو قائلاً « طفلي » وبعد هنيهة استرسلت
تقول : وماذا تصنع الآن ؟ وحينئذ ...

قلت الصغرى : وحينئذ ماذا ؟
فأجابت أختها : حينئذ سمعت فابتعدت
عن الباب

فارتبكت الصغرى ارتباكاً شديداً ،
والنفس عليها الأمر ثم قالت :
والكن لا يمكن أن يكون لها طفل ،
وأيكون هذا الطفل ؟

فقال أختها : لا أعرف شيئاً عن هذا
الموضوع أكثر مما تعرفين

فقلت الصغرى : ربما كان هذا الطفل
في منزله ، ووالدتهما بطبيعة الحال لا تسمح
لها بحضوره إلى هنا ، ولا بد أن هذا هو
سبب حزنها

وأجابت الكبرى : آه . هذا كلام فارغ
إنها لم تعرف أو لا إذن !

وذهب بهما التفكير كل مذهب ،
وعادت الصغرى تقول : طفل ! هذا أمر
مستحيل . كيف يمكن أن يكون لها طفل ؟
إنها غير متزوجة ، ولا أطفال لغير المتزوجين
فقال أختها : ربما كانت متزوجة

وردت الصغرى قائلة : لا تكوني غبية ،
إنها لم تتزوج أو لا

فقلت الكبرى : حسن ، إذن ... ؟
وأخذت كل منهما تحدف في الأخرى
وقالت إحدهما في حزن : إنها مسكينة
آسفنا مان

وكان يبدو دائماً أنهما يعودان إلى تردد
هذه الكلمة ، وكأنها كانت تأوه عطف ،
ولكن شعلة الاستطلاع كانت تعود بعد
ذلك إلى التوهج

وقالت الصغرى : أطفليها بنتاً أو ابناً ؟
وأجابت أختها : كيف أستطيع علم ذلك .
فقلت الصغرى : وماذا تقولين إذا سألتها
عن ذلك في تلمظ ولباقة ؟

فزجرتها أختها قائلة : أوه ! الترمي
الصمت !

فسألت الصغرى : ولم ذلك ؟ إنها تعاملنا
بكثير من الرعاية والعناية

فقلت أختها : وما فائدة ذلك ؟ إنهم
يخفون عنا أمثال هذه الأشياء ، وإذا
تحدثوا عنها وجئنا إلى الحجرة ، فإنهم
يسكونون عن الحديث ويشرعون في التكلم
معنا بكلام فارغ كأننا لا نزال أطفالاً ، وذلك
بالرغم من أنني في الثالثة عشرة من عمري ،
فما فائدة سؤالها لتخدعنا وتكذبنا ؟

فقلت الصغرى : ولكني أريد أن
أعرف

فأجابت أختها : وأنا كذلك نواقة إلى

هذا الرجل هو فرار الجبان . ولما جاء أوتو ليودعهما إلى منيهما إعراساً ونجيهما ، ورغم ذلك رافيتا توديعه لآلئته مان ، وقد صالحته في هدوء . ولكن شفتيها الخالجتا وبدل ذلك من أحوال الغتاتين في تلك الأيام ، فقد قل ضحكهما ، وأصبحتا لا تستشعران السرور في شيء ، وبدأ عليهما الحزن ، وكانا تفتلان في أرجاء المنزل وقد احتواهما القلق ، وغلب عليهما سوء القلق بمن كان حولهما من الكبار ، واعتقدتا أن وراء أبسط الكلمات التي تسمعاها خدعة وأنها تطوى على أكدوبة ، وكانتا في رقابتهما الدانة كالظلال الحاطفة تسمعان خلف الأبواب وتحاولان النفاذ من الشبهة التي تحجب عليهما السر الخفي أو على الأقل أن تظفرا خلال خبوطها بنظرة إلى عالم الواقع ، وقد فقدتا يقين الطفولة وغفلتها القابعة ، وعازلة على ذلك فقد كانتا على الدوام تتطهران كشفاً جديداً ونخبان أن يفوتيهما ذلك ، وقد غلب عليهما الخدعة جو الخداع والعش الذي كانتا تعيشان فيه ، وكانتا كلما اقترب منهما والداهما تطاهرتا بالانهماك في العمل ، وزاد ما بينهما قرباً تحالفهما على مقاومة عالم الكسار ، وكانتا حينئذ عليهما شعورهما بالجهل والعجز يملكهما دافع حب اللطفة والملاينة

المعرفة ، والذي يضاهي هو أن أوتو ادعى أنه لا يعرف شيئاً عن ذلك ، وحينما يكون للآسان طفل لا بد له أن يعلم ذلك ، كما لا بد له أن يعلم أن له أباً وأماً

فقال المسمى : أوتو ! إنه كان يدعى ذلك ، ومن عادته الكذب !

فأجابت الكبرى : ولكنه لا يكذب في مثل هذه الأمور ، لا حينما يدمع كسنتا وانعرض حديثهما بحج ، المربية . وتذهربا بالحد في العمل ، ولم ينب عليهما ملاحظة احمرار جنتيهما وما دل عليه صوتها من حيثان الحاطفة ، وجلستا في هدوء وصمت وكانتا تظن أن ليهما نظرات احترام . ولم تكما عن التفكير في أن لهما طفلاً وأنها حزينة من أجل ذلك ، وبهمة ألم بهما الحزن

وعند تناول العشاء في اليوم التالي علمتا بيده الأمام المرمجة ، وهي أن أوتو سيفادر المنزل ، وقد أخبر به أن عليه أن يبدل جهداً كبيراً فيقول المرسول في الامتحان ، وأنه لا يجد في المنزل الخدم ، الكافي لذلك ، وأنه سيقوم في سكن غير هذا مدة الشهرين القادمين

واشتر ذلك مشاعر الغتاتين ، وأدركتا أن لرجل ان مهمهما . ومن أنوان العسلة بحديث اليه . المسمى : أوتو ! إنه كان يدعى ذلك ، ومن عادته الكذب !

ويجعلهما تتمانقان . وفي بعض الأحيان كانت تهمل دموعهما . وهكذا انتقلت حياتهما إلى مرحلة خطيرة بدون سبب ظاهر وبين متاعبهما الكثيرة كان هناك شيء أسوأ وقمًا في نفسيهما من كل شيء آخر ، وهنّهما لباقيهما دون أن تتبادلا الأفكار إلى عقدهما العزم على أن تجنبنا الآنسة مان التعاب جهد الطاقة لما تعانيه من حزن ، جسدنا في التحصيل وتعاونتا في الدروس والتمتتا الهدوء وأحسننا التصرف وحاولتا أن نبتعا الآنسة مان إلى رغباتها ، ولكن كان يبدو لهما أن الريبة لم نلاحظ ذلك ، وكان هذا أشد ما يشير ألهمنا . ولقد كانت غير مكترثة ، وحينما كانت تخاطبها إحداها كانت تحفل كالذي استطير نومه ، وكان يبدو أن نظراتها لا تترد إليهما إلا بعد أن نسير مسافات شاسعة ، وكانت تقضي ساعات وهي جالسة سابحة في الأحلام ، وكانت الفتاتان تسيران على أطراف أصابعهما خشية إزعاجها ألهمنا كانتا تتخيلانها مفكرة في طفلهما الغائب ، وقد جعلتهما أنوثتهما المستيقظة أشد عطفًا مما كانتا قبل على الريبة التي ألانت لهما كنفسها في تلك الآونة . والآنسة مان التي كانت دأمة الرح والتي كانت في بعض الأحيان يغلب عليها القليل من الصلف قد أصبحت أكثر تفكيراً

وأشد رعاية وتبصراً . وشمرت الفتاتان بأن أعمالها كلها تنم على حزن خفي ، ولم تبصراها بأكية ولكن جفونهما كانت قريحة ، وكان من الواضح أنهما تريد أن تحتفظ بمتاعبهما فلا تنفسي بهما إلى أحد ، وكان يحزنهما ويحز في نفسيهما عجزهما عن مساعدتهما . وفي ذات يوم اتجهت المربية نحو النافذة لتمسح دموع عينها فتشجعت الفتاة الصغرى وأمسكت بيدها قائلة « إنك جسد محزونة يا مس مان ، وليس هناك خطأ من ناحيتنا فهل الأمر كذلك ؟ »

فنظرت الآنسة مان إلى الفتاة نظرة عطف وربت على شعرها وقالت :

« كلا يا عزيزتي فليس هناك أي خطأ من ناحيتك »

وقبلت الفتاة في جيبها وهكذا واصلت الفتاتان الرقابة ، ودخلت إحداها حجرة الجلوس على غير انتظار وسمعت كلمة أو كلمتين لم تقصد أن تسمعهما ، وغير والداها موضوع الحديث ؛ ولكنها كانت قد سمعت ما يكفي لجعلها تفكر

كانت الوالدة تقول « نعم لقد استرعى نظري نفس الشيء وسأحدث لهما في ذلك » وفي أول الأمر وضعت الفتاة الصغرى القلنسوة على رأسها وانطلقت لتستشير أختها فقالت

« حول ماذا تظنين هذه الضجة المثارة »

ولكنهما لحظتا عند الغداء كيف كان والدهما ووالدتهما يوجهان النظرات الفاحصة إلى المربية ، وكيف كانا بعد ذلك يتبادلان النظرات ذوات المعاني ، وبعد الغداء قالت الوالدة للآنسة مان :

« هل تسمحين بالحضور إلى حجرتي ؟ إلى أود أن أتحدث إليك »

فاحتاج ذلك الفتاتين لتوقعهما حدوث شيء ، وقد أفتتا استراق السمع وسارتما لا تخجلان منه ، وكان مناط تفكيرهما هو علم ما خبي عنهما ، وبادرنا إلى الوقوف خلف الباب بعد دخول الآنسة مان مباشرة وتسمعنا ، ولكنهما لم تسمعنا سوى همسات من المحادثة ، قبل بظلال في جهلهما ؟ ولكن لم يلبث أن ارتفع أحد الصوتين ، وقالت الأم غاضبة

« أتحسبن أننا كنا عما لا نلاحظ حالتك ؟ إن هذا يلقي ضوءاً على نصورك لواجباتك كمرية ، وإلى أرتجف كلما فكرت في أنني عهدت برية بناتي لثل هاتين اليبدين ، ولا نزاع في أنك أهملتهما إهمالاً شنيعاً »

وبدا أن المربية اعترضت على ذلك ولكنهما كانت تتحدث في هدوء فلم تستطع الفتاتان سماع حديثها

وقالت أمهما « تكلمي ، تكلمي !

كل امرأة خليعة تجذ أعذاراً ، وامرأة مثلك تقدم نفسها لأول قادم دون أن تفكر في المواقف ، والله بعين ! ومن الكناز أن نصير فاجرة مثلك مربية ، وما أحسبك تتحدعين نفسك فتحسبي أنني أسمح بإقامتك في المنزل بعد ذلك ؟ »

فارتجفت الفتاتان وهما نصفيتان ، ولم تستطعيا أن يفهما قههما كاملاً ، ولكن اللهجة التي كانت تتحدث بها أمهما بدت لهما فظيعة مستنكرة ، وكان جواب الآنسة مان البكاء والتشنج ، فالتحدرت الدموع من عيون الفتاتين ، وازداد غضب الأم حدة وتأججا فقالت :

« أكل ما تستطيعينه هو البكاء والتعجب ! إن دموعك لا تؤثر في ، وليس في نفسي شيء من العطف على أمثالك ، وليس من شأنى أن أعنى بما سيصيبك وأنت من غير شك تعرفين أين تلتجئين المساعدة فهذا شأنك الخاص ، وكل ما أعلمه هو أنك لن تمكثي في منزلي يوماً آخر » .

وكان البكاء والتعجب لا يزالان جواب الآنسة مان الوحيد ، ولم تسمعنا من قبل انتحاباً على هذه الطريقة . وكان شعورهما يوحى إليهما أن من يبكي مثل هذا البكاء المر لا يمكن أن يكون مذنباً ، وانتظرت والدتهما قليلاً في صمت ثم قالت بحدة :

« هذا هو كل ما أريد أن أقوله لك ،
فاجمى متاعك بعد ظهر اليوم واحضري إلى
في صباح الغد لنأخذى مرتبك ، ونستطيعين
الآن أن نتصرفي » .

وفرت الفتان إلى حجرتهما ، فإذا
يمكن أن يكون قد حدث ؟ وما معنى هذه
الماصفة المفاجئة ؟ وفي هذه الغمة المظلمة من
أمرهما أخذ يتبين لهما ضوء الحقيقة وأهيا ،
ولأول مرة كان شعورها شعور الثائر على
والديهما .

قالت الكبرى « ألم يكن من القسوة
البالغة أن تخاطبها والدتي مثل هذا الأسلوب ؟ »
وأخاف هذا النقد الصريح الفتاة الصغرى
بعض الحروف قتلت متمثرة :

« ولكن ... ولكن ... نحن لا نعرف
ما سنت » .

فقالت الكبرى « إنى واثقة من أنه
لم يقع خطأ ، والآنسة مان لا يمكن أن
تخطئ ، ، والرائدة لا تعرفها كما عرفها نحن »
فقالت الصغرى « ألم تكن طريقتهما في
البكاء فظيمة ؟ لقد تركت في نفسي شعوراً
سيئاً » .

قالت الكبرى : « نعم كانت فظيمة ،
ولكن الأسلوب الذي كانت تصيح به
والذي كان مستكراً معيياً ! »

ودقت الأرض برجليها وقاضت الدموع

من عينيها .

وفي هذه اللحظة جاءت الآنسة مان وقد
بدأ عليها الإعياء ، وخاطبتها قائلة : لدى
أعمال كثيرة بعد ظهر اليوم ، وإنى أعرف
أنكم ستحسنان السلوك إذا تركتكم
لنفسكما ، وسنمضي المساء معا .

واستدارت وغادرت الحجرة دون أن
تلاحظ نظرات الفتاتين البائسة .

وفلت الكبرى لأختها : أرأيت احمرار
جفنيها ؟ إنى لا أفهم لماذا قتت عليها
والدتي كل هذه القسوة ؟

وأجابت الصغرى : مسكينة آنتنا
مان !

وهكذا عاد التحسر لحالة الآنسة مان في
صوت يعترضه تدفق الدموع ، وجاءت
الرائدة لتسألها أريدان أن يذهبا مع المندرة
فأجابتا : لا نريد اليوم يا والدتنا .

والتواقع أنهما كانتا خائفتين من والديهما
وكانتا ناضبتين لأنهما لم تخبرهما بأنها ستطرد
الآنسة مان ، وكان الأنس لحالتهما النفسية
تركهما لتخلوا بنفسيهما ، وكانتا تظن بأن
في نواحي الحجرة كأن مصافير الحبسة في
القفص وقد ضربسهما بأربابه ووطأها بمنسمة
جو الريف والصمت ، وأرادتا أن تعرفاهن
تستطيعان أن تذهبا إلى الآنسة مان ،
وتسألها عن جليلة الخبر ، وتخبراه أنهما

فقلت الصغرى « ربما استطعنا زيارتها
بعد حين من الزمن وسترينا طفلهما »
فقلت الكبرى « نعم ، إنها ستظل دائما
عزيزة علينا »

وعادت الصغرى تقول « مسكينة آمنة
ما ! »

وبدا لهما أن هذه الكلمة الحزينة تلوح
لهما بما يصوره لهما الغيب

وقالت الكبرى « لا أستطيع أن أنصبر
كيف نستطيع البقاء بدونهما ! »
فأجاب أخوها « إنى لا أطيق قبول
مربية بعدما »

ووافقتها الكبرى قائلة « ولا أنا كذلك »
وقالت الصغرى « إن نجد شيئا للآمنة
مان ، وفضلا عن ذلك ... »

ولم تجترى على إتمام حديثها ، وشعورها
الباطن بالأثرة جعلهما تحسان نوعا من
الاحترام للآمنة مان منذ عرفتا أن لهما طفلا ،
وكان هذا على الدوام في فكرهما وقد أثر
فيهما تأثيرا بالغا

قالت الكبرى « أقول ... »

فأجاب أخوها « تقولين ماذا ؟ »

فقلت الكبرى « لقد خاطرت لى فكره ،
ألا نستطيع أن نصنع صنيعا جميلا للآمنة
مان قبل أن تنصرف لربها تعلقنا بها ونعرفها
أننا لسنا مثل الوالدة ؟ وهل ننضمين إلى

ريان أن والديهما قد أسرفت في الإساءة
إليها ، ولكنهما كانتا تخشيان مضايقتها ،
وفضلا عن ذلك فإنهما كانتا خجلتين إذ
كيف يدسنى لهما الحديث عن أمر كل
ماتعلانه عنه مستمد من الأحاديث المسترقة ؟
وكان عليهما أن تنضيا فترة ما بعد الظهر
الطويلة المملة في خلوة بنفسيهما مهمومتين
حزينتين تبتكيان من الحين إلى الحين ،
مستعبدتين في ذاكرتهما ما سمعناه خلال
الباب المغلق وغضب والديهما القاسى ،
ونحيب الآمنة مان اليائس .

وفي مساء جاءت المربية لتراها ولكنها
اكتفت بتحيتهما وبينما كانت تغادر
الحجرة تشوقت الفتاتان إلى الخروج من
الصمت ولكنهما لم تستطعا أن تنطقا
بكلمة . واستدارت الآمنة مان عند الباب
كأنها دعاهن نطلععهما الصامت وكانت عينها
تلتصمان يريق العاطفة النادرة ، وعالقت
الفتاتين اللتين فاحت دموعهما وعلا بكؤوسهما ،
وأعادت الآمنة مان تقبيلهما وأمرعت
في الانصراف

وكان من الواضح للفتاتين أن هذا هو
الوداع الأخير

فبكت إحداهما قائلة « إن نراها بعد الآن »
وقالت الأخرى « إنى أعرف ، فعند
مودتنا من المدرسة عدأ تكون قد ذهبت »

في ذلك ؟ »

فأجابت أختها « بكل تأكيد ! »

فقال الكبرى « تعرفين شدة حبها للورود البيض ، فلنذهب في صباح الغد ونشترى وردات بيضاء قبل ذهابنا إلى المدرسة ونضعها في حجرتها »

فسألت الصغرى « ولكن متى نفعل ذلك ؟ »

فأجابت أختها « بعد الرجوع من المدرسة »
فأجابت الصغرى « لا فائدة من ذلك ، إنها ستكون قد ذهبت . اسمعي ، سأنسلل في باكورة الصباح قبل الفطور وأحضرها إلى هنا ونحملها بعد ذلك إليها »

فأجابت الكبرى « حسن جدا ، علينا أن نستيقظ مبكرتين »

ورجعت كل منهما إلى حصيلتها من النقود ، وسرهما أنهما ستتمكنان من إظهار مدى حبهما للآنسة مان

وفي باكورة الصباح طرقتا باب الآنسة مان والورود في أيديهما ، ولم تلتقيا ردا ، فظننا أنها لا تزال نائمة فنظرنا من ثقب الباب ، ولكن الحجرة كانت خالية ولم يبق أحد في الفراش ، ووجدنا على المنضدة رسالتين ، فاعترضتهما الدهشة . فماذا حدث ؟
أجابت الفتاة الكبرى « سأذهب نوا إلى الوالدة »

وبدون أي أثر للخوف وفي تحد ظاهر جيبته والدمعها بهذه الكلمات !

« أين الآنسة مان ؟ »

فأجابت أمها « أظنها في حجرتها »
فأجابت الفتاة « ليس بحجرتها أحد وهي لم تذهب إلى فراشها ، ولا بد أنها غادرت المنزل في الليلة الأخيرة ، فلماذا لم نقول لأمنا شيئا عن هذا الموضوع ؟ »

ولم تكذ الوالدة تلحظ لحجة التحدي ، حتى أسفر وجهها وقصدت إلى زوجها ، وذهب الزوج إلى حجرة الآنسة مان ومكث بها هنيئة . وفي أثناء ذلك كانت الفتاتان تنظران إلى والديهما نظرات غضب متجههم ، وبدأت أحجزة عن مواجهة هذه النظرات

وعاد والديهما أدراجهم من حجرة الآنسة مان وفي يده خطاب مفتوح . وكان هو كذلك مهتاج العاطفة . واسحب الوالدان إلى حجرتيهما وتبادلا الحديث بصوت منخفض . وفي هذه المرة خافت الفتاتان من محاولة استراق السمع فإيهما لم تريا والديهما من قبل في مثل هذا النظر

ولما خرجت والديهما من الحجرة رأتاها تبكي ، فأرادتا أن تسألها ولكنها قالت لهما في حدة « إذهبا إلى مدرستكما ، إنكما ستتأخران »

ولم تجدا بدا من الذهاب ، وظلنا ساعات في حجرة الدراسة دون أن تصفيا لكلمة واحدة ، ثم انطلقنا إلى المنزل ، وهناك بدا أن فكرة رهيبية قد استولت على عقول من في المنزل جميعا ، حتى الخدم كان منظرهم عجيبا ، وجاءت ابنة الوالدة لاستقبالها وأخذت تتحدث إليهما بكلمات غريبة يتلونها

« إنكما لن تريا الأنسة مان بعد ذلك إنهما ... » ولم تكمل الجملة فإن ما بدا على الفتاتين من مظاهر الغضب والتهديد جعل الوالدة لا تستطيع الكذب عليهما ، فذكرتهما واحتتمت تحت حجرها

وفي عصر ذلك اليوم ظهر أونو في المنزل وكان أحد الخطابين موجهاً إليه وقد استدعى للحضور ، وكان هو كذلك قلقا تمتنع الوجه ولم يوجه إليه أحد كلاما ، وتحاشاه كل إنسان ، وأبصر الفتاتين جالستين في إحدى زوايا الحجرة مهمومتين فذهب إليهما

فنظرنا إليه في فزع وصاحنا « لا تقرب منا ! »

فأخذ يمشي هنا وهناك لحظة ثم اختفى ولم يتحدث أحد إلى الفتاتين ، ولم تتجاذبا هما أطراف الحديث ، وكاتنا تنقلان في المنزل من حجرة إلى أخرى بغير غرض ، وننظر كل واحدة منهما إلى وجه الأخرى الذي يلمته الدموع حينما يتقاطعان طريقاهما ، وعرفنا في

هذه الآونة كل شيء ، وعلمتا أنهما قد خدعتا ، وعرفنا إلى أي حد تصل الفطنة بالناس ، وقد أحببنا لوالديهما ، وأمسحت لانتقان بالوالد ولا بالوالدة ، ووثقت من أنهما لن تثقا بأي إنسان بعد ذلك ، ونقل على كاهلهما الضميرين الصغيرين حل الحياة ، وتركتهما طفولتهما السعيدة التي لم تعرف الألم ، وانظرتيهما بخوف المجهولة . وكان من وراء تفكيرهما إدراك المعنى الكامل لكل ما حدث ؛ ولكنهما كانتا تصارعن محتملاته المروعة ، وقربت ما بينهما العزلة ولكنهما كانتا صحبة خرساء لأهلهما لم نستطعنا تخطين حاجز الصمت ، وانقطع ما بينهما وبين الكبار انقطاعا تاما . ولم يستطع أحد الدنو منهما لأن منافذ روحيهما قد أغلقت وربنا امتد ذلك بضع سنوات قادمة . وكانتا في حرب مع كل ما كان حولهما لأهلهما في يوم وجيز كبيرة ونشأ

وفي أعقاب النساء عندما كاتنا تنفردان في حجرة النوم كان يعاودهما خوف الأطفال من العزلة ، ونشأهما الفرع من المرأة الميتة ، وأنهما رهبة المحتملات المريعة ، وكان الرد شديدا قارسا وقد أذهلهما الاضطراب الذي شمل المنزل عن جهاز التدفئة ، فلاذتا بفراش واحد وتسامتا لتبديلا التشجيع ولستندرا الدفء ، وكاتنا لا تزالان عاجزتين عن بحث

من الحياة التي نشأتنا في ظلالها ، تلك الحياة
التي بدت لهما مثل غابة ملأى بالصور التي
تبت الرعب وتثير الخذر ؛ ولابد لهما من
عبور هذه الغابة ، ولكن هذا الشموخ بالهم
والحزن أخذ يستحيل شيئا فشيئا شعورا
وهيا ؛ فلت حنة تكلمهما وأصبحتا لا يتكلمان
إلا في فترات متباعدة ، وهذا تنفسهما ،
وشلتهما الهدوء ، والصفاء ، واستغرقنا في النوم
علي أرواحهم

أسباب نعيمهما ، ولكن أخيرا في تلك
الآونة وجدت عاطفة الفتاة الصغيرة المكبوتة
متنفسا في عاصفة من الدموع . والكبرى
كذلك أخذتها لوبة من السماء والتحجب ،
وهكذا كانت كل واحدة منهما تبكي وتتشج
وعن بين دراعى الأخرى ، ولم يكن يكاؤهما
على فقد الأنسة مان أو على الحفوة التي وقعت
بينهما وبين والديهما ؛ فأنفذ هزها توقع ما قد
يصيها في هذه الدنيا المجهولة التي أبصرنا
حقائقها لأول مرة في هذا اليوم ، وقد نقرنا

مخبرات من الأدب الفرنسي

شعرون

للاستاذ أحمد حسن الزيات

مجموعة من أربع القصص القصيرة وأبلغ القصائد من أسطورة من واقع كتاب

فرسا وشمرانها

وتمه ٢٥ قرناً عدا أحيرة البرية

الطبيب والشك

للكاتب الألباني هـ ج - يابلق

بلومسيري ... أظنها لم تعد جديدة بأن
تحفظ ... لقد كانت قضية كريمة ؛ ولقد
أسفت لهذا الفتى . على أنها كانت قضية
واضحة لا صعوبة فيها . هل قرأها يا سيدي ؟
شاب يبدأ عمله ، ويجاهد في سبيله جهادا
شاقا ، وفي أشد حالات عسره يتعرف إلى
رجل يقتني بعض الجواهر في شقة فيسرقها ؛
وكانت سرقة هوجاء . وهكذا حال كل شاب
مستقيم ينحرف عن الجادة . إنه يفقد سوابقه .
وإن مغزى قضية الدكتور واثق هو تلك العبارة :
يا إلهي نجنا من القواية . إنه لم يتجاوز
الثلاثين من عمره ، وهو ما عر كريس ؛ وقد كان
خليقا أن يسير في حياته سيرا موقفا . لقد
قضى على نفسه . ولو أنه كان يملك مائة
جنيه فحسب لاستطاع أن يرضى قدماني سبيله .
فقال ريجنالد فورشن مردها تلك العبارة
المأثورة التي يحبها « إن كثيرا من الجرائم
نتيجة طبيعية محنومة » ثم قال « إنني لم
أقرأها يا بل ... كيف سارت القضية
سيرها ؟ » . جلس وأشعل دخينه .
فقال المدير « كانت المحاكمة في صحف

دخل مستر ريجنالد فورشن حجرة مدير
البوليس في اسكتلند بار . وقال في هدوء : « إنها
حلولى من الشيكولاني والابن ، والأفضل أن
تقبض على تلك العمة » وتناول المدير سماعة
التليفون وتكلم في حدة : ثم اتجه إلى
فورشن قائلا « إنك تذكر تلك المسألة البغيضة
مسألة العمة وبنت أخيها الطفلة » .

وتتم فورشن قائلا « أوه تلك المرأة البدينة
البيضاء التي لا يحبها أحد ... إنها غير سليمة
كما تعلم ... إن في عددها انضمام بعض المرض »
وقال المدير عابسا في هجة اقتناع « لقد
أالت حزامها ، إنها امرأة شريرة يا مستر
فورشن ، ماهرة أشد المهارة » . وتغاب
فورشن قائلا « نعم إنها جد قاسدة ، وقضيتها
قضية كشيبة يابل » .

ثم تنقل فورشن في أرجاء الحجرة حتى
استقر عند منضدة فرأى عليها لقمة من الفطير
الطبي وآلة لفتح الأقفال عنوة . فسأل المدير
قائلا « ما هذه التحف يا بل ؟ » .

فأجاب المدير : « إنها الأدلة في قضية ذلك
الطبيب الشاب ، قضية سرقة الماس في

على آلة فتح الأقفال ولفة القطن الطبي .
 فقال مدير البوليس « لا تمهز » أرى
 بقايا الطبايق هذه ؟ إنها ذات أهمية . لقد
 فتح الدرج الذي كان يضع فيه وثائق ماساته
 عنوة واختفت منه الماسات . واستدعى وت
 البوليس ، والآن هل ترى هذا الدخان على
 لفظة القطن ؟ لقد استمرعى اهتمام مقتش
 البوليس ، فإن هذه اللفة قد تناولتها حتما
 يد رجل يدخن هذا الدخان . وأكرم الظن
 أنه وضعا في نفس الجيب الذي وضع فيه
 الطبايق ... دليل نادر أليس كذلك ؟ وأطلع
 مقتشنا وت على ذلك ولشد ما ارتاع وت ؛
 إنه دخان من جنوب أفريقيا كما ترى ، وأنه
 ليعلم أن ولتن يدخن هذا الطبايق . وكان
 بعض منه متناثرا على أرض الحجرة كذلك »
 وسأل رجي وهل أحضرتم ذلك البعض
 المتناثر ؟ »

فقال المدير : لا ... لمست أظن أنه أحضر ،
 ولكن رجلا رأاه وهو مصدق . وحضر
 أثناء البحث أحد الصحفيين الهولنديين ،
 وكان قد عاد من إنجلترا ، وقرر أنه جاء
 لزيارة وت الليلة الماضية في ساعة متأخرة ،
 ولكنه لم يستطع أن يسمعه أنه بالباب فأدهشه
 ذلك لأنه رأى أثناء صعوده السلم شخصا
 يخرج من حجرات وت ورآه يدخل شقة
 ولتن . وكان هذا كافيا لأن يستند إليه

الصباح ياسيدي . ولم تكن سوى أمر
 هين . لقد عاد الدكتور هوراس ولتن من
 الجيش ومعه قليل من المال ، وبدأ عمله
 متخصصا في بعض الأمراض ، وكانت عيادته
 في حجرة صغيرة خاصة ، كانت إحدى ثلاث
 حجرات أو أربع استأجرها آخرون في شقة
 بشارع هاني ، وكان يقطن في شقة بشارع
 بومسيري ؛ فماذا كان من أمره ؟ لم يأت
 إليه مرضى ، ولم يكن له أصدقاء وأخذ يقل
 ماله القليل .

وأومأ ريجنالد فورشن أو (رجي) كما كان
 يدعى قائلا : « ياله من مسكين » واستأنف
 المدير حديثه قائلا :

وحدث أن جاء تاجر ماس هولندي
 يدعى وت فسكن في شقة بجاء شقة ولتن ؛
 وقد عرفه ولتن إذ وصف له دواء للبرد أو
 غيره ، وأقبل وت على الطبيب وصادقه ،
 واستمع إلى متاعبه ، وعرض عليه أن يجد
 له عملا في شركة هولندية ، وأهدى إليه
 قطعتين أو ثلاثة من الماس ، وهي طريقة
 كيسة لمنحه بعض المال كما أظن .

وحدث بعد ذلك ذات صباح أن دخل
 خادم الشقق حجرات وت فوجده في سبات
 عميق ؛ فلقد أنشق الكاور وفورم ثم وجدت
 هذه اللفة على عنقه .

وتناول رجي الصندوق الذي كان يحتوي

سولنجن ؟ »

فقال بل « سيدى ، إنك لا تستطيع أن تعرف كيف يحصل المرء على أداة كهذه . إنها تشتت من يد إلى يد ، أليس كذلك ؟ » وأجاب رضى « بد من ؟ ولماذا يقطع مفتشك الحرب أن هذا من دخان جنوب أفريقيا ؟ إن فيه مشابهة له ولكنه فى الواقع من ذلك النوع الفظيع الذى يبيعونه فى ألمانيا ويسمونه ريوخ - تباك » .

وأخذت الدهشة بل وقال « هذا عجيب يا سيدى - ألماني أيضا ؟ »

فقال فورشن : إنك تستطيع أن تشتري بضاعة سولنجن خارج ألمانيا ، وكذلك الدخان الألماني ، من هولندية مثلا . فأجاب بل : لست أفهم ماذا تريد أن تذهب إليه يا سيدى .

فقال فورشن : أوه... إنى أظن أن مسألة الطباقي كانت خطأ ... وإنى أظن أنه لم يكن ثمة من داع لأن يذكر الطباقي قط ، ولكن لسوء حظ الدكتور ولتن قد أخذتمته مفتشك المحنك دليل إدانة ذلك المسكين وسبيل وصمه إياه .

وبدا على المدير عدم الارتياح وقال « نعم يا سيدى ، إن هذا ما لم نكن نحب أن يحدث ... ولكن القضية مع ذلك لا تدور على الدخان ، فهناك الرجل الذى أقسم أنه

البوليس فى تصرفه ؛ فقبض على ولتن وفشت سفته ، ووجدت الماسات وآلة الفتح مدسومة فى حشيرة أحد القاعد . وحوكم بالأسس ، ولم يدافع عن نفسه ولكنه أقسم أنه لا يدري من هذا كله شيئا . وكانت الأدلة واضحة . وتقدمت ، وهو لا بد رجل على جانب عظيم من الرافة ، فحاول أن يخفف عنه بكل ما فى وسعه ، وتوسل إلى القاضي أن يترفق به . ولكن بوروديل العجوز قضى عليه بخمس سنوات ؛ وهو حكم صارم . على أن القضية فى ذاتها ستقضى على مستقبل الشاب ، ذلك المسكين ... قضية سيئة يا سيدى أليس كذلك ؟ ضرب من السرقة الموحجة المبطونة على نكران الجليل . ولكنه كان يستطيع أن يعيش أميناً لو أنه كسب من عمله ما يقيم به أوده » .

ولم يجب مستر فورشن ؛ فلقد كان يفكر إلى آلة الأفقال . ثم إنه وضعها أمامه وأخرج منظارا مكبرا ورفع الصندوق نحو الضوء ونظر مقطبا فى لفة القطن .

فسأله بل قائلا : ماذا ؟ أى شئ ؟ رآه فى هذا ؟ فأجاب مستر فورشن وهو لا يزال يفحص لفة القطن قائلا « آلة الأفقال هذه ، لماذا كانت من صنع ألمانيا ؟ لماذا يستعمل الدكتور هوراس ولتن وهو من شارع هارلى بلومسبرى مفتاحا كهذا صمم فى

سولنجن ؟ »

فقال بل « سيدى ، إنك لا تستطيع أن تعرف كيف يحصل الرء على أدائه كهذه . إنها تنقل من يد إلى يد ، أليس كذلك ؟ » وأجاب رضى « يد من ؟ ولماذا بقطع مفتشك المحرب أن هذا من دخان جنوب أفريقيا ؟ إن فيه مشابهة له ولكنه فى الواقع من ذلك النوع الفظيع الذى يبيعونه فى ألمانيا ويسمونه ريوخ - تبالك » .

وأخذت الدهشة بل وقال « هذا عجيب يا سيدى - ألماني أيضا ؟ »

فقال فورشن : إنك تستطيع أن تشتري بضاعة سولنجن خارج ألمانيا ، وكذلك الدخان الألماني ، من هولندية مثلا . فأجاب بل : لست أفهم ماذا تريد أن تذهب إليه يا سيدى .

فقال فورشن : أوه... إنى أظن أن مسألة الطباق كانت خطأ ... وإنى أظن أنه لم يكن ثمة من داع لأن يذكر الطباق فقط ، ولكن لسوء حظ الدكتور ولتن قد أخذتمته مفتشك المحنك دليل إدانة ذلك المسكين وسبيل وصمه إليه .

وبدا على المدير عدم الارتياح وقال « نعم يا سيدى ، إن هذا ما لم نكن نحب أن يحدث ... ولكن القضية مع ذلك لا تدور على الدخان ، فهناك الرجل الذى أقسم أنه

البوليس فى تصرفه ؛ قبض على ولتن وفشت سفته ، ووجدت الماسات وآلة الفتح مدسومة فى حشيرة أحد القاعد . وحوكم بالأسس ، ولم يدافع عن نفسه ولكنه أقسم أنه لا يدري من هذا كله شيئا . وكانت الأدلة واضحة . وتقدمت ، وهو لا بد رجل على جانب عظيم من الرافة ، فحاول أن يخفف عنه بكل ما فى وسعه ، وتوسل إلى القاضي أن يترفق به . ولكن بوروديل العجوز قضى عليه بخمس سنوات ؛ وهو حكم صارم . على أن القضية فى ذاتها ستقضى على مستقبل الشاب ، ذلك المسكين ... قضية سيئة يا سيدى أليس كذلك ؟ ضرب من السرقة الهوجاء التطوية على نكران الجميل . ولكنه كان يستطيع أن يمشى أميناً لو أنه كسب من عمله ما يقيم به أوده » .

ولم يجب مستر فورشن ؛ فلقد كان ينظر إلى آلة الأفقال . ثم إنه وضعها أمامه وأخرج منظارا مكبرا ورفع الصندوق نحو الضوء ونظر مقطبا فى لفة القطن .

فسأله بل قائلاً : ماذا ؟ أى شئ ، رآه فى هذا ؟ فأجاب مستر فورشن وهو لا يزال يفحص لفة القطن قائلاً « آلة الأفقال هذه ، لماذا كانت من صنع ألمانيا ؟ لماذا يستعمل الدكتور هوراس ولتن وهو من شارع هازلى بلومسبرى مفتاحاً كهذا صنع فى

حائلكم على الجد !»

وقال لومس في حدة « إنها الآن تبدو
صربا من الجنون ... إنها كابوس الليل »
وأجاب رجي في جد عابس « أجل ...
أجل ... أكاد أقول إن ذلك هو ما يراه
الدكتور ولتن . ومهما يكن من شيء فقولنا
ماذا ذهبتم إليه ؟ »

فقال إرس « إنك على صواب فيما يتصل
بالدخان ، حيرك الله . وكذلك فيما يتصل
بالمفتاح فكلاهما من صنع ألمانيا فهلا أخبرني
ماذا يعني ذلك ؟ »

فأجاب رجي « إن سؤال صديق الوافر
أجدر أن يوجه إلى السيد وت والسيد جبرار ،
وإنك لترى أن هذا أشبه بحال ألبس في
أرض العجائب : الحسب أولا ثم التحقيق !
لم لم تدرس القضية قبل أن تحققها ، وبذلك
كنت تستطيع أن تناقش وت وجبرار وهما
تحت يدك رهن التحقيق ؟ »

فأجاب لومس « لا يمكننا أن نسالهما الآن
على كل حال فقد اختفيا ... غادرت شفتته
يوم المحاكمة ، وغادر جبرار المندق في نفس
الليلة ، وقل كلاهما إنها عائدتان إلى
أمستردام ، وهما وذا ما أقاد به البوليس
الهولندي : لم نعلم برفبتكم المؤرخة ٢٧ من
هذا الشهر ؛ لا يعرف أحد بهذه الأوصاف
في أمستردام ، ولا يمكن أن ترصد العاديين »

وأجاب رجي : حسن .. حسن .. قوة
بوليسنا الذكية العاملة ... إن في القضية
ما يلهي . أليس كذلك يا لومس أيها الرجل
القديم ؟ »

وأنت إرس فيه نظره وسأله « ماذا تريد
أن تقترحه يا فورشن ؟ »
فقال فورشن « أريد أن أبين بطلان الأدلة
بل فراعها فراغا مطلقا من أية قبعة »

وأوما إرس قائلا : هذا مسلم به . إن هذه
الأشياء جديما غير مقنعة ؛ فالدخان من حيث
أنه دليل لإدانة هو في صالح السجين ، وقد
اختلف بعد المحاكمة أهم من تقدموا للشهادة
ضده مما يحيط أمرهم بالشك ... على أنه بقي
بعد ذلك تلك الحقيقة : ألا وهي وجود
الماسات في عجرة السجين

فتبسم رجي قائلا : أوه ... أجل وضعها
هناك شخص ما

فقال رجل الغاتون : دعنا نسمع رأيك
صريحا ، هل تعتمد أن هذه القضية التي
ذهب صاحبها الدكتور ولتن قد دبرها
أولئك الذين احتفوا ؟

فقال فورشن : هذه هي الفروض
الاحتياطية ، لأنه ما من شيء آخر يفسر
الوقائع . لقد استعملت أشياء ألمانية وليس
ما يصل بين ولتن وألمانيا ؛ وقد حضر تاجر
الماس إلى حيث كان يقطن ولتن فعلا ،

على أن اللص الحقيقي أخفى الماسات في
حجرته لأنه بوغت وخوف

وقال لومس : أجل .. إن ذلك رأى
متباهت كما ترى ... أف لهؤلاء المحامين ..
أف لحم يا إدس .. قوم ثقلا ..

فأجاب إدس : إننا لا نهتم إلا بالبراهين
وقال فورشن : ولماذا لا تستعملونها إذن ؟
لقد كان ذلك الرجل وت ممتعا جدا في
ساحة المحكمة حين قال إنه يدافع الرأفة قد
عرض على ذلك الطبيب الذي ينكر الجليل
عملا في شركة المستعمرات الهولندية ؛ وهي
على بعد كبير من إنجلترا كما تعرف يا إدس .
ولم يشأ ولئن أن يقبل ذلك . وعلى ذلك كان
لا بد من إجراء آخر

ونظروا إليه إدس مفكرائهم قال : إنى
أوافق على أن ثمة شيئا في هذا ، ولكن
لماذا ؛ إننا نعرف أحوال ولئن جميعا . لقد
كان حتى الآن حسن السيرة ، فكان في
الاستشقي وفي الجيش وفي عيادته الخاصة
مستقيا موثوقا به ، فلماذا يوجد له أعداء
لا يأتون جهدا حتى يلقوا به بعيدا عن
طريقهم ؟ إن رجلا في عصاة من المجرمين
أو في جماعة من الثائرين خليف أن يحدد
أحيانا من بكيدون له ليعاقبوه أو ليعتقوا أن
يخونهم ، ولكن ذلك لا يمكن أن يكون
حال ولئن ، فإن حياته واضحة عادية . إنه

وليس سبيل التمرف إليه ؛ وأبعت صديق
التاجر فجأة وجاء في اللحظة الدقيقة ليبدى
برهان كان لا بد منه ؛ وحين يطمئنان إلى
أن ولئن قد أدخل السجن يختفيان ، ولا
يعنى مما نعرفه عنها إلا أنها ليسا كما زعمنا
أول الأمر ... لذلك فالافتراض الوحيد
الذي يتفق مع هذا كله هو أن هذين أوادا
أن يصمعا ولئن حيث هو الآن ... هل من
اعتراض لديك على هذا يا إدس ؟

فقال إدس : إن هناك اعتراضا واحدا ،
وهو أن نظريتك تفسر كل ما حدث ولكنها
لا تينا قط لماذا حدث أى شئ من هذا ،
أعني أنه تفسير يحمل القضية أكثر غموضا
الآن منها في أى وقت مضى . إننا نستطيع
أن نفهم أن يسرق ولئن الماسات ولكن
لا يستطيع أحد أن يفهم لم يريد أن يدخله
هذان الرجلان أو أى امرئ غيرها السجن
وقال فورشن : أوه ... باصديقى هكذا
منع من القانون مبلغا عظم . إن ما غاب
عنيك عنه لا بعد معرفة . إنك لا تدري
ناذا يراد أن يبعد ولئن من الميدان ، ولست
أدري أنا كذلك ؛ ولكن ...

وقال إدس : نأ كيد : ولم يدري ولئن
كذلك . إنه لم يشك في هؤلاء ؟ ولم يتبين
من دفاعه أن له أعداء . إنه أنكر
أى علم له بهذه السرقة ، ولقد أصر بحاميته

لم يكون لهم أعداء شخصيون ولكني
أست أذكر مثلاً لذلك غير هذه القضية
فأجاب لومس : أوه ... نعم هناك مسألة
بكلر : ولقد كنت أعتقد أبداً أن هذا هو
الدافع إلى مقتل برندن
وأعط إدس قائلاً : نعم ؛ كما تقول ولكن
ولئن لم يشك في مؤامرة كيدية ، وليس يعلم
أن له أعداء

فقال رجي : كلا ... إنني أميل إلى القول
بأن ولئن لا يدري ماذا يعلم ، هب أنه وقع
عن غير قصد على بعض الأدلة ضد وت أو
بعض أصحاب وت ، فإنه لا يدري ما في
ذلك من ضرر ، ولكنهم يدرون

فقال لومس : لقد قتل أناس في ظروف
كبهذه ولم يعلموا لم قتلوا
فصاح إدس : إن هذا ممكن لأريب ،
ولكن هذه الأقوال تذهب هباء فليس ثمة
ما أستند إليه

فقال رجي : أست أرى رأيك ... إنك
كثير التواضع

وهو إدس كنت فيه قائلاً : ربما كنت
كذلك ، ولكني لا أستطيع أن أوصي
بمراجعة الحكم في قضية ولئن بناء على قروض
فصاح رجي قائلاً : «سحقاً للمراجعة» .
إنني أريد أن يطلق سراحه

خلفاء فيه إدس ثم قال محتجاً : «ولكن

هذا شيء خيالي»

فقال رجي : «أريد حراً بريئاً ... يا الهي ...
فكر في هذا المسكين ! كيف يغدو في عداد
المجرمين لأن أولئك الأوشاب الصماليك وأوا
وجوده غير ملائم لهم ... إنك إذا خفقت عنه
الحكم حسب قناعتك تعرف إنما آخر ... إنه
يريد منك أن ترد عليه حياته»

فتنه إدس قائلاً : إنها قضية مهمة ،
ولكن ماذا أستطيع أن أصنع ؟ إنني
لا أستطيع أن أعبد إلى المسكين شخصيته .
إننا حتى لو أطلقنا سراحه سنجده رجلاً
قد تحطم

فقال رجي في رفق : يا زميلي العزيز ،
هذا ما قلته ؛ وهناك نقطة أخرى ، ماذا
يدفع مستر وت حتى يهتم مثل هذا الاهتمام ؟
ذلك ما يمكنني أن أعرفه

فأجاب إدس : ليس هذا من شأنى ،
ولكنك لا تزال ترسل كلامك في الهواء ،
يا فورسن ، ماذا تريد أن أقول ؟ يجب أن
أفعل شيئاً

فقال فورسن : هذا أمر مؤلم لكل رجل
رسمي خير . إنني أرى لحالك وكذلك يفعل
لومس أكثر منى ، أليس كذلك يا لومس ؟
ولست واثقاً من أنك تستطيع أن تصنع
أى شيء في هذا الأمر

ثم استطاع مستر فورسن وراح يمشي

سيكارته وبفكر

وتسكلم إدس قال : إنك يا فورشن

خير من يعينى

وقال لومس : الحقيقة التي أماننا هي أن

جميع الأدلة ضد ذلك الرجل قد ثبت بطلانها

ويجب أن نواجهها . وخير أن تطلق

سراحه يا إدس

وشفق إدس قائلا : لومس يا عزيزى ،

لست حقا أستطيع أن أوافقك ؛ إن الدليل

الوحيد الذى ثبت بطلانه هو الدخان ولم

يكن جوهريا ؛ ويحيط الشك بالأدلة

الأخرى ، ولكننا لا نستطيع القول بأنها

باطلة ، ولقد أقنعت القاضى والخلفين ؛ ولم

تسبق سابقة في حالة كهذه بتخفيض الحكم

حتى يصبح كأنه لم يكن !

فقال لومس : لست أنظر فيما يعرضك

من صواب ؛ وانا أرمى بذلك إلى معرفة

ماذا وراء (وت) من سر

والبحث رضى من تفكيره وتدخينه قائلا :

أخرج ولتن وضعه تحت المراقبة ، ثم انظر

ماذا يفعل وت وشركاؤه . لا بأس ؛ إنها

إحدى الطرق ، ولكننا مقامرة

فأجاب إدس : « وهى كذلك خارجة

عن الموضوع

فالتفت إليه رضى قائلا : ما عملك على وجه

التحديد يا إدس ؟ هل لى أن أعرف ما هدف

وجودك المبارك ؟ فتنبه إدس فى برود إلى

أنه ليس ثمة من ضرورة تقضى بأن يفقد

الإنسان سببه

ورد فورشن بقوله : كلا ... لست

غاضبا ؛ وإنما أنت تحير عقلى الساذج . لقد

ظننت أن عملك هو أن تتحقق من العدالة

إذن فامض فى سبيلك

فأجاب إدس وقد احمر وجهه : هلا

تكرمت فذكرت ماذا تقترح ؟

فأجاب فورشن : سوف تقول إن ذلك لم

تسبق به سابقة . . لا بأس . دونك رأي

الضعيف : أخبر الدفاع بالدخان ، وقل

إن ذلك يكفى سببا لأن ترفع القضية إلى

محكمة الاستئناف . ثم أفض إلى الصحافة

بأن هناك شكاً حول إدانة الدكتور وأن

و ... واحتمالا بإعادة النظر فى القضية وكلاما

آخر من هذا القبيل ، كلاما طنانا محاطا

بالتموض ، مما يحمل الصحافة تنشط فى

الحديث عن قضية ولتن . والتفت فورشن

إلى لومس باسمها وهو يقول : ألسنا نستطيع أن

ندبر ذلك يا لومس ؟ »

فأجاب لومس : لقد فعلنا مثل ذلك من

قبل .

ومض إدس قائلا : يا لهنى ، لى لا قيل

لى بما يستدعى أية صلة بالصحافة .

فقال فورشن متهمكا : بوركيت وأهنتك

إلى ما صار إليه إذا ما جرى به إلى هنا ،
ولكن الدكتور ولتن مسرف في نفسه
وتأله ، وحين أخبرناه أن في الأدلة نقصا ،
وأنة يمكن استئناف القضية لم يبدأ أى اهتمام
بذلك ، وبدأ عليه ما يبدو دائما من اللامبالاة
والحزن . « كل ما فاء به قوته : » وما فائدة
ذلك ؟ لقد قضيتهم على » .

فتنهذ رجلي قائلا : يا له من مسكين تمس
فقال انما حفظ وفي وجهه الشك : ربما
كان كذلك ، فقد لا يستطيع الرء أن يحكم
على خلق سجين من أيامه الأولى في السجن ،
ولكنى عرفت أشخاصا طالما أظهروا لى
أكثر مما يظهر هذا ، ما يطمئنى أصدق
أهم أبرياء .

وأدخل الدكتور ولتن على الرجلين وكأنه
بقية رجل في ملابس السجن . ونظر فورشن
إلى وجهه الذابل الشاحب ومد إليه يده فلم
يقطن إليها ، وقال فورشن : « اسمى فورشن
وقد جئت من اسكتلند يارد . لقد اكتشفت
ما حدث من خطأ فى الدخان ، وقد جعلنى
ذلك أهتم « قضيتك كل الاهتمام ، ويقبى
حسبا أشعر أننا لم نعرف وجه الحق فيها
بعد ، وإذا أنت أعنتنا على معرفة ذلك فإن
فى ذلك عونا لك » .

فقال ولتن : لست أستطيع البوليس
مساعدى وإن أقول شيئا .

الرائعة ، سوف ندير الأمر ، وليس يعنينا
ماذا نقول الصعافة ما دامت ستسير
ضجة حول الموضوع . إن ذلك سوف يبه
وت ومن معه وسرى ماذا يكون .

وبدت على إدس الحيرة والارتباك ثم قال
فى جد : أظن أنه من الجلى أن يخبر الدفاع
بما كان حول الدخان حتى يمكن استئناف
الحكم ، ولكنى لا أستطيع أن أسوغ شيئا
غير هذا بالضرورة .

فقال لومس مبسما : هذا صحيح يازمبلى
العزير ، ما من أحد يسوغ هذه الأشياء ،
وما من أحد يفعلها ، إنما هى تحدث فحسب
وخلص الرجلان من إدس وقال رجلي
وكأنما يتن : وطنى ... أوه ، يا وطنى . مثل
هذا النوع من الرجال يحكمونك !

بعد ذلك بيوم أو يومين فى أحد أصباح
أبريل ، كاتب مستر فورشن أمام سجن
برنستون ، ودق الباب وهو يرتعد من البرد ؛
حتى إذا فتح له قصد مسرعا إلى محافظ
السجن يطلب منه الإذن بأن يلتقى الدكتور
ولتن .

فقال المحافظ وهو يهز رأسه : لست
أظن أنك ستفيد كثيرا من لقائه ، فقد
فقد الرجل رشده فيما يبدو ، وإن كل رجل
مثله كان يشغل مكانا طيبا خلى أن يصير

الذي صنعها . أتعلم شيئاً عن مستر وت ؟
هل خطر ببالك قط أنه أراد أن يربحك
من سبيله ، إما إلى المستعمرات الهولندية
وإما إلى السجن ؟
وقال ولتن : ليس في نفسي شيء . ضد
وت .

فتمهد فورشن قائلا : أوه ... يا صديق
العزیز وكيف جاءت الماسات إلى حجرتك ؟
فأجاب ولتن في نوحس : أجل ... كيف
جاءت ؟ أسأل مفتش البوليس . أسأل
مفتشكم الذي قال عن الدخان ما قال . أنت
رجل بوليس وتعرف كيف تدبر هذه الأشياء
فقال رجبي وهو يتهد في عمق : آه ليتني
أعرف . لو أني عرفت ما كنت أنت هنا .
ولم يستطع فورشن أن يعود بشيء ، أكثر
من هذا من مقابلته ولتن ، تخرج غضبان أسفا .
ولما لقي لومس في الصباح التالي لم يكن قد
استرد هذوه نفسه . وكان لومس متطلعا
إليه في تحمس فقال : « أقبل فإنك الرجل
الذي أطلب الساعة ، ماذا كان رأي
السجين ؟ »

فهر رجبي رأسه قائلا : لومس ! هل
رأيتني قط بداخلني بعض الغرور بسبب ما
لشخصي من أثر حسن في النفوس ؟ شأني
في ذلك شأن من يحس أن ليس في الناس
من يستعصي عليه ؟

فقال فورشن : اسمع يا بني العزيز ، إنني أعلم
أن المسألة مكيدة خبيثة ، ولكن هناك
كثيراً غير هذا يتطلب البحث ، فإذا أنحت
لنا فرصة فربما استطعنا أن نحاول القضية
كلها ، ونجعلك تقف ثانياً على قدميك ،
وهذا ما جئت من أجله .

فضحك ولتن قائلا في الشراح : كلا .
شكراً لك .

وعاد فورشن يقول : فكر في الأمر فقط .
... إنني لا أستطيع أن أحدث لك الآن
صبراً . إنني أبحث عن الحقيقة ، وأنا في
جانبك . هل لك أعداء ؟ ذلك كل ما أريد
معرفة . هل هناك من يهمة أن يحطملك ؟
أو من يريد أن يربحك من الطريق ؟

فقال الطبيب الشاب : البوليس ليس غير
فأجاب رجبي يعجزو ذلك : أوه ... يا بني
العزیز ، هل حدث لك أي شيء لا يسرك
قبل هذه الهممة ؟

فصاح ولتن وقد صمد الدم إلى وجهه
الشاحب : ماذا ؟ ماذا تقول ؟ أوه ، هأنذا
أرى . إنني مجرم قديم ، أليس كذلك ؟
خير لك أن تنظر في سوابقي ، وتستطيع
أن تخترعها ، هذا سهل جداً

فقال رجبي في نبرة حزينة : ماذا يفيدك
هذا يا بني العزيز ؟ إن البوليس لم يخترع
هذه الهممة . إن صدقك مستر وت هو

إلا مسألة الدخان ، ألا إنه فعل سيئ ، نكراً
فقال رجي : إذا كان الدخان سبب
انتحاره ، فإن شعوره بوخز الضمير هو
أقوى مما يكون عليه رجل البوليس . إنه
ليس شيئاً نكراً كما تقول . إنه جدير بالثناء .
يا يلحى إذا قتلنا أنفسنا بسبب أخطائنا فمن
يبقى في البوليس ؟ لقد ذكر ولين المسكين
أن المفتش وضع الماسات في حجرته ،
ولكن هذا ضرب من الهذيان .

فأجاب لومس : إن المسألة كلها هذيان ،
فها أنت ذا تتخبط يا فورشن . إنك تقول إن
انتحار المفتش بسبب الخطأ هذيان ، وتقول
بإشارتك إلى الماسات ورأى ولين فيها إن
اقتراض سبب آخر لانتحاره هذيان .

وتتم رجي قائلاً : أيها المسكين ... أيها
المسكين ... لم أنجبط يا لومس وإنما أنا
مغضب ، فإن ولين غير مذنب ، ومفتشك
غير مذنب . ومع ذلك فأحدهما في السجن
والآخر قتل نفسه ، ونحن نسمي أنفسنا
رجال بوليس ... أغلقت الحظيرة بعد أن
سرق الحصان . هذا هو عملنا كما أظن ،
ويا ليتنا أغلقتا الحظيرة حتى بعد أن سرق
الحصان .

فقال لومس : لست مغضباً لحسب وإنما
أنت مهتاج ، ماذا يمكن أن نفعل يا صديق
فورشن ؟

فأجابه لومس : لم أر من ساروك
مايسى ، يا فورشن ، ربما كان في غرورك
شيء ، صديقي قليل . وإنك معجب بنفسك
ألسنت كذلك ؟

فقال رجي في فجأة من لا يريد أن
يمزح : دعنا من هذا الهراء يا لومس . إذا
شعرت ثانية بما لشخصي من حسن الأثر
في النفوس فاذا كرر اسم ولين . لم أترك في
نفسه أي أثر ، ورأيت عصباً .

فقال لومس في جد : إنك تدهشني ...
ألم تعد منه بشيء قط ؟

فتهد رجي قائلاً : كثير جداً ... كثير
جدا . إنه كئيب ، متجهم ، غبي . هذا
ما أصف به صاحبنا الدكتور ولين ذلك
المسكين . لقد راح يقول إن البوليس هو
الذي دبر كل هذا ، وإن المفتش هو الذي
وضع الماسات في حجرته . . . لقد فقد
المسكين صوابه وأصبح كالطفل الذي ير كل
الكرسي الذي اعرض سبيله .

فقال لومس : لقد انتحار المفتش يا فورشن ،
لقد استدعيناه كما تعلم للاستوضحه ، فكان
مضطرباً مهيج الأعصاب ، ولما عاد إلى
منزله قتل نفسه .

فحلق رجي في عذته وأخذ يهترق مقدمه
من الدهشة . واستأنف عذته قائلاً : لم
يكن نعمة شيء قبل هذا ضده ؛ وليس الآن

فسأل فورشن: ألم يظهر شيء، عن وت؟
فقال صاحبه: كلا، إلا إذا كانت له يد
في انتحار المفتش

فسأل فورشن: وهل توقن أن المفتش
انتحر؟

فقال لومس: خير لك أن تذهب فتري
الجثة فإن الدليل مقنع تماما.

فسأل فورشن: أليس في الصحف شيء؟
فقال لومس: كلام كثير بالضرورة،

ولكنني لا أنتظر أدلة من الصحف.
فقال رجي: إنك دائما لاتقدر الصحف

حق قدرها بالومس.
وذهب فورشن ورأى جثة المفتش في

المشرحة، ثم عاد وفي وجهه أمارات
التفكير العميق

فسأله مدير البوليس بل، وقد كان في
توبيعه: أنت مقتنع ياسيدي؟

فأجاب فورشن: مقتنع؟ قل إني عبق،
فهذا ضحية أخرى للسيد وت وشركائه.

ثم اتجه إلى لومس وقال إني ذاهب إلى منزلي
لأنظر ماذا في الصحف.

وجلس مسر فورشن في بيته يقرأ
الصحف وقد ذهب مذاهب شتى في التعليق

على القضية، وأشارت معظمها إلى أن في
الأمور سرا، وكانت كلها إلا صحيفة واحدة

تعطف على الدكتور ولتن.

كانت هذه الصحيفة المسماة (ديلي وتشمان)
تعطف أول الأمر كزميلاتها على ولتن، ثم

انقلبت في اليوم الرابع تحمل عليه فراح
تحت عنوان: «فضيحة ولتن» فكتبت

تحذر القراء مما يصطنع من عطف بقصد به
أن يؤدي إلى الإفراج عن ولتن، فهي حيلة

من حيل السياسيين ورجال الثقافة الحديثة
لحماية مجرم من العقاب، وهي صورة جديدة

للدعوة إلى سن قانون للأغنياء وآخر للفقراء،
وهي مؤامرة دنشة بدبرها أصدقاء مذهب

لص، ثم من ذوي المكانة، وعلى الشعب
أن يقف مجتمعاً في وجوههم، إذا أراد

الأترواع البلاد كل ليلة تمثل هذه السرفة
الشيعة.

وذهب مسر فورشن ليتعشى في نادى مجتمع
به عادة عدد من رجال الصحافة، وأخذ

يسأل صديقه هناك عما إذا كان يعرف من
كتب ذلك الكلام في صحيفة ديلي وتشمان.

وتعجب الصديق من شدة اهتمام فورشن
بهذا الأمر، ولكن فورشن أظهر له أنه

قد استوقفه انحراف الصحيفة عن وجوبها
الأولى ليس غير، فأراد أن يفهم سر ذلك.

وفي اليوم التالي حمل البريد إلى مسر
فورشن رسالة قصيرة عليها توقيع س. و.

يقول فيها مرسلها إن الذي كتب ذلك
الكلام في تلك الصحيفة رجل يدعى كيب،

ولكنه من رجال السياسة . إنه بولشفي »
وأحس رجي كذلك بشيء من الدهشة
ولكنه لم يبدعه وقال : بعض رجالك الذين
عملوا من قبل في أوساط إجرامية جريئة .
أمرع أيها الشيء القديم .

وفي صباح اليوم التالي دق جرس التليفون
في بيت فورشن ، وكان المتكلم لومس وأخذ
يقول : « أنت فورشن ؟ مستر فورشن
العظيم ؟ إني أتجه بقلبي نحوك يارب مجلد وإني
أحني رأسي لك ... هلم إلينا هم » .

ورحب به في مقر البوليس - أحباء ، إلى
ولومس ، وبالغا في السخريّة منه في مزاح
عابث ، وقال لومس « إنك تبلغ الغاية بيّما
نكون في أول خطوة » وأجابهما فورشن
بقوله « كفى ... كفى . خبرني بالومس من
كوبيير هذا ؟

وقال لومس : حسنا أنك أنت الذي
تخبرنا عنه ... واسكن واعجبا ماذا جعلك
تجري في أثر كوبيير هذا ؟

فأجاب فورشن : إنه يزعم أنه هولندي ،
وكذلك يزعم وت ، وهو يبيع الحلي وكذلك
يبيع الحلي وت . ولقد ألقى في روعى أنه
هو الذي وجه صحيفة ديلي وتشين لتصبح تباعها
كي يبقى واتن في السجن

فقال لومس : إذا قدرت لنا ماذا يعني
ذلك فلك سكرى .

وإن به مسألة جديدة يرسل حديث عهد
بالنعمة في المدينة يدعى كوبيير .

وذهب فورشن إلى حي من أحياء التجارة
في المدينة فصادف صاحبا له من التجار يدعى
توماس أوين ، فسأله هل تعرف رجلا اسمه
كوبيير ؟ فقال صاحبه إنه يعرف رجلا يحمل
هذا الاسم يقول إنه يبيع جواهر وحلياً من
روسيا ، وهو نحيف يبدو عليه السكر ذو
لحية قصيرة مديسة ، أبيض اللبس ، يتكلم
الإنجليزية في طلاقة ، ويقول إنه هولندي ..
وأردف توماس قائلا : ونستطيع أن نراه
بنفسك فإن له مكتبا هناك في المبني الجديد
في مودلين لين .

وكان مستر فورشن يجمع شتات فكره
وهو في طريقه إلى منزله ، وعجب إذ وجد
كوبيير الذي يحسب به العموض يزعم أنه
هولندي ، ووت الذي اختفى يزعم كذلك
أنه هولندي ، وقال وت إنه تاجر حلي ، كما
قال كوبيير إنه كذلك تاجر حلي ! ولما بلغ
المزل كلم لومس في التليفون يطلب إليه
مراقبة جوليوس كوبيير في مودلين لين وأن
يناقض بذلك رجال تجاريون يتمطون .

وتم صوت لومس حتى في التليفون عن
الدهشة وهو يكرر قوله « كوبيير ؟ كوبيير ؟ »
لم قال : ما المناسبة وما العلاقة يا فورشن ؟
قضية واتن ؟ هل فت جوليوس كوبيير ؟

فقال فورشن وهو يهز رأسه : هذا ما يحدث
في قصته... إن ولتن لا بدري ماذا يريد وماذا
يجعل
فقال بل : ربما كان هو نفسه بلشفي ولو
قليلًا يا فورشن

وضحك لومس قائلا : إن بل ذو موهبة
فما أرى له المهارة الدرامية
فأجاب فورشن : أجل... أجل... إن
في الحياة كثيرا من مواقف المهارة الدرامية،
ولكنني على أي حال لا أتصور أن وت
وكوبر وشركاءهما يلعبانها الآن... أحسب
أنه لا يدلي من الذهاب إلى حيث يعملان...
وأثبت فيه لومس نظره وهو يقول «أنت؟»
ونفض بل قائلا : لن تذهب وحدك فم
أحسب يا سيدي

فقال فورشن : حسن... نعم... معي
لتحرسني يا سيدي... نعم... إنني أريد أن
أرى هؤلاء يا لومس... إن ولتن رجل طيب
كما تعلم وأحب أن أرى المرصفي أيضا
فأجاب لومس في تردد : يمكنك أن تحاول
ذلك يا فورشن، ولكنك تعلم أنه ليس
هناك على التحديد شيء ضد وت، وليس
هناك مطلقا شيء ضد كوبر، ولست
على يقين من أن كوبر لم تأخذه رغبة :
إنه يختلف إلى النادي الأولي وقد كان هناك
ليلة الثلاثاء، ولكن رجالنا لم يروه ليلة أمس

فأجاب فورشن في هدوء : ليس في ذلك
معنى... إنني أعرف ذلك... إلى الجحيم بهذا
كله... ينبغي أن تفعلوا شيئا لأنفسكم... بروا
وجودكم... هلا أخبرني يا لومس من هو
كوبر؟

فأجاب لومس : قد وضعت قسم السياسة
تحت المراقبة زمنا... وقد كان يبيع حليا
روسية... وهم يعتقدون أنه بلشفي
ونتم رجى قائلا : هذا لا يفيدنا شيئا.

فقال لومس : لا... ألا ترى من ذلك
ما قد يكون من علاقة بين وت والبلشفية؟
ألا إنني أراك تصيد في غير ميد يا فورشن
معمدة فلم يعرف أحدهم رجالنا كوبر...
ولكن واحدا منهم عرف وت، وإن وت
هذا يعمل في مكتب كوبر... هذا مدهش
يا ريجلند... كيف فعلت ذلك؟

فصاح رجى فورشن قائلا : وراشني...
أوه... وراشني... كوبر وسيط بلشفي،
وهو يستخدم رجلا ليزج ولتن من الطريق...
إنه حليم قطيع

فقال لومس : أجل... إنهما مسألة معقدة...
ليست من أفضيتك اليسيرة يا فورشن
وقال (بل) في تهيب : إذا كان الدكتور
واتن على علم بمؤامرة من المؤامرات البلشفية
يا فورشن، فإن ذلك يجعلهم يربحونه من
الطريق.

تسمع نغممة هنا ونغممة هناك . ثم عادت
وعلى وجهها اضطراب وتوكتها دون أن
تتكلم ، وسارت في ردهة فتبهما بل ثم رجى ،
واقتحما حجرة داخلية فوجدوا رجلا يصف
شعره ، ومن رآها حتى صاح بهما وقد احمر
وجهه : هذا اقتحام يا صاحبي .

فصاح بل باسمه : آه ... هاهو ذا مدبغنا
مستر بوت .

فقال الرجل : لا بد أن هناك غلظة ...
إنك تخطف ، ياسيدي . ما سمك ياسيدي المدبرة
أما أنا فاسمي سيجل .

فقال بل : إذن لماذا سميت نفسك بوت ؟
فأجاب الرجل : لست أدري ماذا يعنى
كلامك .

قال بل : لست أنسى الوجوه ... وأستطيع
أن أعرفك أيما كنت ... أنت ذلك المستر
وت الذى أتهم الدكتور هوارس ولتن
ولقد كان الوقت ...

فعاد الرجل يقول : ماذا تعنى بذلك ياسيدي ؟
وتدخل فورشن فقال فى انسام وهدهده :
أن أن تقول الحق ... وأن تفكر فى نفسك ليس
كذلك ؟ لقد اطلعنا على أدلة اتهامك ونحن
وهى زائفة . لماذا افقها يا مستر بوت ؟

فسأل الرجل : ماذا تريد ؟
قال فورشن ... حسن ! أين صديقك
مستر كويبر ... خير لك أن يكون معنا هنا :

وقف مستر بل مدير البوليس لحظة أمام
البنى الجديد فى مودرن لين وتلفت حوله ،
وأشار إليه أحد رجاله هناك إشارة فهمها ،
ثم دخل البناء ومعه فورشن ، وصعد إلى
مكتب بوليس كويبر .

ولقيتهما فتاة جريئة سليطة اللسان ،
فألت إن مستر كويبر لا يقابل أحدا إلا
فى موعد يحدد وقتها بل دائما :

« إنه سوف يقابلنى » ومد إليها يده ببطاقة
فتناولتها وهى ترمقه فى شراسة ، ثم اختفت .
وكانت فتاة أخرى تنظر إلى الرجلين من
وراء زجاج الحاجز الخشبي القائم لدى الباب .
وعادت الفتاة الأولى بعد لحظة قصيرة
تقول فى جراءة « آسف لى مستر كويبر فى
مكتبه وخير لكما أن تطلبا تحديد موعد »
فأجابها مستر بل : هذا لا ينفع ...
ومن هنا ؟

فصاحت الفتاة « لا ترجعنى من فضلك »
فأجابها بل فى خشونة وهدهده : إنك لا تحبين
فيما أظن أن يحدث لك ما تكرهين . أفأهمة
أنت ؟ ثم نظر إليها عابسا وقال : اذهبي
فتولى إن بل مدير البوليس فى انتظار أن
يدخل على مستر بوت .

فأجابت فى ثبات : ليس لدينا هنا من
يدعى مستر بوت . فصاح بها : إفعلى ما تؤمرين .
ودهب فتاة لحظات طويلة ، وكانت

فأجاب الرجل: لقد سافر كويبر ياسيدي:
فضحك فورشن قائلا: لست أظن ذلك...
وبك لتظلم نفسك. أظن أنك لم ترد أن
توقع ولن في الفخ فقل لي ماذا كان من
أمر كويبر في هذه اللمبة؟

وتلفت وت حوله في حالة عصبية وقال:
لا نستطيع أن نتمكن هنا فالفتانان تسرقان
السمع، ولا بد أن أخرج معكم:

وبعد كاد يذهب وت لمراقبتهما حتى دفع
باب الحجرة. وانطلقت رسا صتان من
مسدس فأصابتا وت، فلقاب على وجهه
والدم يسيل منه: والندفع بل صوب الزدهة
ومسدسه في يده، وأكب رجي على الجريح
يسأله فقال لا عثا «كويبر» «كويبر»

فقال فورشن: أعرف ذلك.. وسنقبض
عليه... أتعلم أين ذهب؟

فقال وت في همس: إلى يخته... إلى
يخته في جريفستند وقد أعده هناك. ثم أن
الرجل والتوى فقد أصيب في كتفه وبطنه
وذهب رجي إلى التليفون وبينما كان

يطلب نقالة لنقل الجريح إذ دخل الحجرة
بل منقطع الأنفاس، يتبعه عدد من رجال
البوليس في ملابسهم الرسمية وقال: لقد
هرب من ناحية بول كورت، وإن أحد
رجالنا هناك، ولكنه لا يعلم بحدوث شيء
وسوف يتبعه فقط... وأرجو ألا يفلت منه

فقد أدلت من رقابة رجالنا بالأمس
فقال فورشن: أبعد هؤلاء الفقيبات
وضع حارسا على الباب. إنى أريد أن
أحدث في التليفون. وبينما كان رجال
الإسعاف يحملون وت على نقالهم، كان
فورشن لا يزال يتحدث في التليفون وكان
يقول: أمفهوم هذا؟ حسن إذن

وركب فورشن وصاحبه بل في
سيارة إلى جريفستند وقصدا إلى مخفر البوليس
هناك، وما أن بلغا باب المخفر حتى قال لهما
شاويش كان في انتظارهما أنهما رجلا
اسكتلنديا؟ فأبرز له بل بطاقة تثبت ذلك،
فقال الشاويش: إن الأمور هناك على
الشاطئ في انتظاركما وسأصحبكما إليه

وأنيأها الأمور عند الشاطئ أنه علم أن
الرجل قد هرب في يخته المسمى سيرا وكان
قد أعده من زمن ليهرب به عند الاقتضاء.
وسأل فورشن: هل أعددت قاربا
سريعا لنذك به سيرا؟

فأجاب الأمور: ها هو ذا القارب
البخري السريع

وركب فورشن وصاحبه في القارب
وحدث فورشن ربانه قائلا: إننا في أثر
سيرا... أتعرف هذا اليخت؟.. أريد أن
ندركه وأكبر الظن أنه آتجه صوب شاطئ
هولندي... أسرع ما استطعت

فسأله بل « أين هو » فقال الرجل « هنا في حجرة صغيرة وأظنه قتل نفسه » فقال بل « أحضره » - أسرع « وأشار إلى بعض جنده فتبعوا الرجل إلى تلك الحجرة ، وبعد لحظة ألقى على ظهر اليخت رجل ممدد يترق الدم من جسده فنظر فورشن فإذا هو بعينه يوليوس كويبر كما وصفه التاجر توماس أوين « نحيف يبدو عليه الكبر ، ذو لحية قصيرة مدنية - أبيض اللبس »

وجثا رجى فورشن إلى جانبه وجس نبضه ونحس موضع قلبه ، وكان الرجل يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وصاح رجى قائلاً : يا للعجب ! فسأله بل : ماذا تجد ؟ أما يفرغ لك عجب ؟

فقال فورشن : إن الرجل لا قلب له ! هذا شيء جد عجيب ! يا إلهي إن قلبه في جانبه الأيمن ! لقد أجريت له عملية في المعدة الدرقية .. ثم ابشتم فورشن ابتسامته الرضا ، فصاح بل : إذن فأنا أعرفه ولقد تذكرت الآن هيئته . إنه لوتن ياسيدي ! لوتن ذلك الشيطان الخدال - صاحب الاحتيال الكبير على المعروف الرئيسي . لقد اختلس خمسين ألف جنيه أو أكثر من ذلك . وقد حصل ذلك قبل عامك في البوليس ، ولسكن لذلك تذكر تلك القضية .. يا عجبا ! ماذا جاء به ثانية إلى هنا ؟ يا له من محتال جري ! »

وأخذ القارب يشق الماء في سرعة عظيمة وجلس بل وصاحبه تحت مظلتهم ، ووقف على مقربة منهما بعض الجند تتدلى من أحرامهم المسدسات وفي يدي اثنين منهما بندقيتان كبيرتان . ونظر بل فإذا الجو أكدر ، وكانت الرياح الشرقية تحبل سطح الماء إلى موجات تعكر وتهبط . وبعد دقائق أبصر بل وصاحبه على بعد نقطة سوداء ، وقال الربان إنها سيرلا . وما هي إلا لحظات حتى أخذ يراهي اليخت ، وأخذ الربان يزيد سرعة القارب وما زال يحد في أثر سيرلا حتى أصبح يرى بالعين المجردة . فنادى ربان القارب البوليسى في بوق يطلب إلى سيرلا أن يتوقف ، وأخذ يكرر الطلب مبهذا حتى توقف سيرلا . ولما كان القارب البوليسى يبدو منه سمع صوت رصاصة ورؤى دخان يبعث منه فقال : بل أكبر الظن أن الرجل أطلق الرصاص على نفسه

وبعد لحظة أصبح القارب البوليسى محاذيا لليخت الحارب . وخطا بل وصاحبه ومعهم رجال البوليس إلى ظهر سيرلا . وسأل بل ربانه : أين مستر كويبر ؟ فأجاب الرجل وهو يلعب شفقيه ولا يكاد يجدريته : ليس معنا من يدعى مستر كويبر ولا نعرف شيئا عن هذا الاسم . إن معنا مستر هوتن وهو هولندي وإن هذا القارب ملك له ،

وقال فورشن متعجبا : أهذا هو لوتن ؟
الآن سوف أعرف كل شيء

قال فورشن : يقص على لومس كيف
حمل كويبر لوتن على الإيقاع بالطبيب الشاب
حتى أدخله السجن « لقد وافقني ولتن على
أن الشذوذ في وضع قلب كويبر لوتن هو
أصل الشر كله »

فقاطعه لومس قائلا : أي صديقي العزيز
ما لنا ولهذا .. دعنا من صحته ومرضه ..

فقال فورشن : صبرا يا صديقي .. قلت
لك إن هذا الشذوذ في وضع قلبه هو أصل
الشر فنخذ الحديث على سرده ..

فنظر إليه لومس في دهشة وأصغى إليه
في شوق فقال فورشن : وقع حادث
لكويبر في أحد الميادين فقد صدمت إحدى
السيارات سيارته ، وانفق أن كان ولتن
المسكين على مقربة من الحادث فأسمعفه
وعالجه . ولكنه غلبته الدهشة حين وجد
قلبه في الجهة اليمنى من صدره وعند ذلك
أمرا يهمه كطبيب ، وكان قد عرف سائق
كويبر فتردد على ذلك السائق يسأل عن
سيده فأوجس كويبر خيفة فإن موضع قلبه
في الجهة اليمنى هو العلامة التي لا تحصى
في الكشف عنه وهو لوتن المحتال القديم
لابوابوس كويبر . وازدادت مخاوف لوتن

حين علم أن ولتن صديق حبيب لذلك المفتش
المسكين الذي قتل نفسه . فأرسل لوتن وت
وشريكه ذلك الصحفي المولندي فدير ذلك
الأميرة التي راح ضحيتها ولتن الطبيب
التمس ومفتشنا البائس ، فلقد أراد أن يجدا
عملا لواتن خارج إنجلترا فلم يوافق الطبيب
الشاب لما زالا به حتى أدخله السجن .
وكان يخشى ذلك المفتش أن تؤثر صداقته
للطبيب في عمله فأوحى إليه ضميره أن يهتم
بجمع الأدلة ضده فكانت ورطته في مسألة
الدخان ، ولما نبين له خطؤه الذي أوقعه
فيه ضميره ، عاد ذلك الضمير فأوحى إليه
أن يتحجرا ! فأضيفت مأساته إلى مأساة
الطبيب الشاب ! أرأيت كيف كان ذلك
الشذوذ في وضع قلب لوتن هو أصل الشر كله ؟
ونظر لومس في وجه صاحبه لحظة ثم قال
في نبرة حزينة : « لست أدري ما إذا كان
أصل الشر قلبه أم الشذوذ في وضع ذلك
القلب ... لقد ذهب ضحيته رجلا ...
صديقان .. وأجهد البوليس مأجهد . يها من
مأساة وباله من شيطان ! ولكن خبرني
ما حال ذلك الطبيب بعد أن غادر السجن ؟
فقال فورشن وفي وجهه أسرات الأسى :
أرجو أن يستعيد عما قريب ثقته بالحياة

« ذو القاء »

فوجانوف

للنائب الرسمى بربرى بورت

بقلم الأستاذ فوزى شاهين

تدور هذه السجلات الأربع حياة الملازم فوجانوف : طفولته ، ومدرسته ، والكلية الحربية ، أما الكلمة الرابعة فتحتاج إلى مجلدات ضخمة ، نظم فيها الملازم ، كثيرا ما يحدث ألا تريد الساعات الجديرة بالذكر في حياة الإنسان الطويلة على ساعات ثلاث ، ولما كنا نتحدث عن فوجانوف ، فالساعات الثلاث الأخيرة من حياته هي ساعات الخالدة أتيج لفوجانوف في هذه الساعات أن يرقى إلى أسمى مراتب البطولة الإنسانية ، إذ لا حياة ولا موت ، وإذ لا مكان لغير الأبدية والخلود... في هذه الساعات الأخيرة احترقت حياة فوجانوف ، ولكن الدبابات الألمانية لم تستطع أن تقدم

قابلت الفعيلة المرتدة عن الجبهة الأمامية المدفعية التي يرأسها فوجانوف ، وحلق فيهم الرجال مروعهم الدعشة ونهتز قلوبهم رعبا وحذرا ، وكأنا كانوا يرونها للمرة الأولى ! وبعد تلك اللحظة أصبح فوجانوف ورجاله موضوعا للأغنية والأسطورة ، وصارت مدفعيتهم ، تنبأ الكهنة موضوعا للمساحف

والتاريخ ، وما كان الرجال وهم فيما هم فيه من هول يخمون بشئ من ذلك . .

كان الرجال يسرون خلف عربة المدفع التي تحمل جثة قائد صامتين والأسمى بلغهم بردائه الأسود القاتم ، واستودعت الأرض بأطراف القرية جثة فيدور فوجانوف ، وبعد أن أقيمت كنائس الوداع وأطلقت آخر طلقة للتحية ، أسقط الكاتب من السجلات اسم الملازم فيدور فوجانوف ، ثم تابعت الفرقة سيرها لتستأنف حياة القتال الرئيسية حديث واحد هو ذلك الحديث الذى كان يدور في المساء سواء في فرق المدفعية المنتشرة على طول الجبهة ، أو في الخنادق المنتشرة هنا وهناك ، أو في المحطة القريبة من جبهة القتال - الحديث عن بطونة فوجانوف وميلته الخالدة . انشأت الأسئلة على كل من حضر الواقعة ، وحاول كل أن يستعيد ما تستوعبه الذاكرة . وقال الذين لم يروا فوجانوف غنى قيد الحياة : لقد عاش بيننا ذلك البطل ومع هذا تركنا الفرسة تفلت ! أما أولئك الذين عرفوه فقد أجهدوا

بطالا . أفتريد مني أن أرسنه بألف قيسح ؟
كلا ! ليكن كاملا في كل شيء !

ونشرت الصورة في الجريدة الإقليمية فقال
كل من رآها : « الصورة الحية ! » واحتفظ
كل منهم بالمعدن ككازا

كان من بين مخلفات فوجانوف القليلة
سدس ، وهو سدس عادي كسائر
السدسات التي يحملها زملاؤه . وبالرغم من
أن مقبضه لم يكن من فضة أو يتميز بالحلي
والنفوش ، فقد اشتعل الجميع رغبة ، كل
يطالب بالسدس ليحتفظ به للذكرى كأن
السدس أصبح رمزا للمجد ، فصاح القائد
بمضب عندما انتهت عليه الطلبات :

ماذا دهاكم ؟ أليس لكل منكم سدس ؟
وفرر القوميسير أن يكون سدس
فوجانوف من حق القائد الذي نبلى مدفعيته
أحسن بلاء . وهكذا تسابقت الفرق إلى الظفر
بالسدس الذي أوقفت رسالته زحف الألمان
أعيد تنظيم فرقة فوجانوف ، وقبل بها
بعض الجدد ممن لم يروا فوجانوف من قبل ؛
ولسكنهم منذ اللحظة الأولى سموا أنفسهم
« الفوجانوفيين » لأن هذا هو النقب
الذي اختاره رجال الفرقة جميعا ، ولم يضرب
ذلك القائد الجديد ، فقد كان التجدد الخاند
الذي أصبح لسلفه ينعكس عليه في حيطه بهالة
من نور ، فامتسلا نورا لوقوفه على رأس
فرقة فوجانوف التي ذاع اسمها في كل مكان

أذهالهم مسترجمين ذكريات لقائه ، مستعدين
كلمانه حرقا بحرف ، سواء أكانت تمت إلى
. وضوع أم كانت من عادي الكلام .
وتحدث طبائحه عن التطبيق المفضل لديه ...
وبالرغم من أن تلك الذكريات لم تذكر
بطولة الفريد ، فقد كان الرجال حريصين
استعادتها كما لو كانوا يجمعون كنزا ثمينا ،
راغبين في رسم صورة كاملة للشهيد يطبعونها
على صفحة ذاكرتهم ، حتى إذا تقدم بهم العمر ،
وجدوا ما يصورونه عن البطل لأبنائهم وأحفادهم
هكذا يموت من جديد فيدور فوجانوف ،
وبدا يحيا حياة أخرى ، ولم يعد - كما كان
في حياته - ذلك الفتى الأشعث الشعر ، وإنما
يدا في نظار رجال فرقته أتمودجاراتنا لما ينبغي
أن يكون عليه البطل . وعثر البعض على
بطافته الشخصية وقد خضب دمه مكان
الجبهة والكنتين من صورته ، فأجمع الكل
على أن تلك الصورة هي التي تشبه تماما ..
تأمل دوبركوف - أحد الكشافات -
الصورة مليا ثم استأذن في استيقظها لديه
تلك الليلة ، وسهر الليل بطوله يرسم لوحة
مكبرة لفوجانوف ، ما كاد يتأملها زملاؤه
في الصباح حتى هطلوا قائلين إنها تشبه الأصل
كثيرا ، إلا أن أحدهم اعترض على شكل
الأنف ، فقد كان أنف فوجانوف أظلم
قليلا ، ولكن الكشاف رد عليه قائلا :
لقد عاش فوجانوف رجلا ومات

وعندما اجتمع فلاحو القرية انفتحت
كلهم على أن يطلق اسم البطل على القرية،
وأن يقيم فيدور فوجانوف تمثالا على
خضرة الوادي . وسرعان ما وفد إلى القرية
مثال سأل الأم أن تعينه مكتبها من رسوم ،
فتحت كل ما عثرت عليه ، ومن بينه صورة
لابنها عندما كان حداثا أثمرت الشجر في ربي
المدرسة ، وأخرى له وهو في اليرة العسكرية :
ولكن الصور لم ترض الفنان ، فبده لم يأت
إلى القرية لينحت تمثالا لطفل غر ، وإنما جاء
لينحت تمثالا لخارب ملا صيته لأصابع
ونفذ الفنان الفكرة التي طافت برأسه
كما تخيلها فيدور . عينان واسعتان
متفتحتان للحياة ، وجهية عربية نحدثك
عن عزم وقوة ، وقامة مديدة خارب سلب
العود ، كما كان يصبح فوجانوف لو امتد
به الأجل وأكتمل نضوجه

كم أود لو أمتع قاطري بذلك التمثال .
إني أحسد فوجانوف .. ترى كم تبقى لدى
في الحياة من حوت ؟ أقدر لي أن أعيش
ساعة .. شهرا .. عاما .. ثلاثين عاما ؟ لكن
فيدور فوجانوف سيظل إلى الأبد حيا ،
يشرف على قريته الخضرراء ، نابضا بالحياة ،
خالدا للشباب . واستمتع الأجيال القبة
قصة حياته القصيرة ، وميتته الخالدة ، وهم
يتناقضون بها جيلا بعد جيل .. هذا هو الخلود

فوزي شاهين

وبدا الصحفيون يتقاطرون إلى المكان ،
كلهم بطمع في الحصول على نبأ جديد عن
البطل الراحل ، وأخذوا يجمعون ما كان
بالأمس نسيانا مسيا ، فأصبح بين عشية
وضحاها قصصا خالدا . وهكذا انتشرت
أبناء حياة فيدور فوجانوف القصيرة التي
فلخصها أربع كلمات ، وأبناء موته الذي
يستحق أن تؤلف عنه المجلدات

طارت الأخبار إلى القرية الصغيرة
بسييريا حيث ولد فيدور فوجانوف ،
وطالعت الأم القصة التي تمجد بطولته أبنها ،
ولكن المقالة التي ملأت صفحة كاملة بما
كانت تحمله من أسباب تيمت على الفخر ،
لم تكن تحبها إلا عن أمر واحد : لقد
مات ولدها ! انفجرت الأم باكيا ونلتها
جارتها بين ذراعيها غير محاولة أن تخفف
عنها أو تقدم لها العزاء ، وقالت ببساطة :
— إبكي ما طاب لك السكاء يا سقيا نوفنا !
يبقى أن تبكي ، ولكن من حقا أن
تفخرى أيضا !

وقطع مدرس القرية الدرس فجأة وهو
يقول بصوت مرتجف :

— أي أبنائي ! على نفس هذا المقعد
جلس من قبل فيدور فوجانوف البطل الخالد
ونظلم الصغار جميعا إلى المقعد الذي كان
يحتله البطل وقد توردت حدودهم تبها ، وظل
المدرس فترة يرمق المقعد دون أن تستطیع عيناه
تحولا أو يواتيه الصوت ليستأنف الدرس

فكر في الحل



رواية شاب هادى

سمع إفرت مور مساعد الصراف في إحدى الشركات الكبرى وهو ينتظر في غرفة خارجية بالطابق الثالث ، صوت سيارة تقف عند باب الشركة في الساعة الثانية إلا قليلا بعد منتصف الليل . وبعد لحظة دخل عليه مأمور البوليس حيث كان ينتظر . فقال مساعد الصراف في هدوء : « جئت متأخرا » فنظر إليه المأمور نظرة فاحصة ثم سأله ما الحادث ؟ فقال في أسف ولكن دون أن يبدو عليه أى اضطراب : « لقد جمنا الليلة قدراً عظيماً من المال ووضعت أوراق النقد في درج مكنتي هنا في غرفة داخلية لأعدها قبل أن أودعها الخزانة » ثم سحب المأمور من تلك الغرفة الداخلية وهو يقول : « وفي الساعة الواحدة والنصف سمعت وقع أقدام على السلم بأسفل البناء فبادرت بإطفاء نور الشقة إذ كنت وحدي في البناء كله ، وكان النور بحيث لا يرى من الشارع ولا من السلم .. وبعد لحظة أحسست بشخص ينسل في جراحة وفي غير بحث أو حذر إلى هذه الغرفة على نور مصباح كهربائى صغير ، ونظرت فإذا نور المصباح على مكنتي وإذا

به يخرج النقود في سرعة من الدرج وبدسها في حقيبة كانت معه وكان مقنعا وفي يده مسدس . وسمعت صوت سيارة قادمة ، فانتظرت حتى تترب بحيث يغطي صوتها صوت قرص التليفون إذا أدرته . ثم أدت القرص وطلبتكم في المخفر العام مستغيثا في همس . ولما لم يكن معى سلاح لم أستطع مقاومة ذلك اللص . وبعد أن نزل بدقيقتين أضأت الشقة فقال المأمور أى رقم طلبت ؟

فأجاب الشاب في هدوء : الرقم العام للبوليس ٥١٢١٩ :

فسأله المأمور : ألم تغادر هذا المبنى طيلة هذه الليلة ؟

فأجاب الشاب : غادرت في الساعة الحادية عشرة إلى قهوة حيث أكلت شطيرة وشربت قهوا من الشاي ... وكان الصراف لا يزال هنا ومعه بعض الموظفين والخدم

فقال المأمور : ولم لم تتعش في مطعم ؟ فقال الشاب وما زال هادئا كل الهدوء : أحببت أن أعود مسرعا لأنهم عملي ولكي يستطيع زملائي الانصراف :

فقال المأمور : ألبس قميصك واصحبني إلى المخفر مقبوضا عليك :

لماذا أرباب المأمور في كلام الشاب وقبح عليه :

الرواية : فكر في الحل ...